مراسلاتُ العلَّامةِ الميرزا محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ الهمَذانيِّ (ت١٣٠٥هـ) معَ بعضِ أعلامِ البصرةِ، وجوابُها

Correspondences of Savant Mirza Mohammad bin Abdul Wahhab Al-Hamadany (1305 A.H) with Some Basra Eminent Personalities And Their Answers

إعداد وتعليق وتحقيق

الشَّيخ محمَّد لطف زاده التبريزيّ

Prepared, Commented on and Inquired by

Shaikh Mohammad Lutf Zada Al-Tabrizy

ملخَّصُ البحث

تناول هذا البحث مراسلات العلّامة الميرزا محمّد بن عبد الوهَّاب بن داود الهمذانيّ (ت١٣٠٥هـ) مع بعضِ أعلام البصرة الشِّيعة المغمورينَ، وجواباتهم؛ وهم:

١- السَّيِّد ناصر ابن السّيّد أحمد بن عبد الصَّمد، الموسويّ، البحرانيّ، البصريّ (ت ١٣٣١هـ).

٢- الميرزا إسحاق الشيرازيّ.

٣- جعفر ابن الحاجّ أبي القاسم الواعظ الشِّيرازيّ الحائريّ، الشَّهير بميرزا آقا.

وقدْ وردتْ هذه المراسلات ضمن كتابه المسمّى بـ: (المحاسن في الإنشاء والترسّل)، وكتاب (نامه نامي). ووجدتُ أربع نسخ من كتاب المحاسن، وأمّا النّسخ التي وردتْ فيها رشحات قلمه عن البصرة، فقدْ كانتْ ضمن أربع مخطوطات:

المخطوطة الأُولى: محفوظة في مكتبة مجلس الشّورى بطهران، ورقمها: (١٦٧٩)، وهي مسوَّدة منها، وبخطّه.

والمخطوطة الثانية: مكتبة المتحف العراقيّ ببغداد، الرقم: (٢٦٥١٩)، بخطّ محمّد النّجف آباديّ.

والمخطوطة الثّالثة: مكتبة المتحف العراقيّ ببغداد، الرقم: (١٤٦٧١).

والمخطوطة الرابعة: ما ورد في كتاب (نامه نامي)، ونسخته محفوظة في مكتبة مجلس الشّورى بطهران، ورقمها: (٧٣٥٩)، بخطّ محمّد صادق ابن الميرزا حسين الشيرازيّ، في الكاظمين، ١٩ رجب المرجّب (١٣٠١هـ)، رسالتين منه باللُّغة الفارسيّة.

وقدْ عملنا على تحقيق هذه المراسلات وإبرازها للطالبينَ والباحثينَ، مسلِّطينَ الضَّوء على شيءٍ مِن تراث هذه المدينة الزاخر. وقد التزمنا في ضبط نصّ الكتاب وتصحيحه وتحقيق مسائله والتعليق عليه وَفق مناهج التحقيق المعمول عليها بين أهل التحقيق، ومِن اللهِ تعالى نستمدُّ التوفيق.

الكلمات المفتاحيَّة:(محمّد بن عبد الوهَّاب الهمدانيّ، المراسلات، البصرة).

ABSTRACT

This study sheds light on the letters sent by savant Mohammad bin Abdul Wahab Al-Hamadany (died 1305 of Hijra) to some noted Shiite men from Basra with their replies including:

1- Sayyed Nasser bin Sayyed Ahmad bin Abdul Samad Al-Musawy Al-Bahrany Al-Basri (died 1331 of Hijra).

2- Mirza Ishaq Al-Shirazy.

3- Jaafar bin Al-Haj Qassim Al- Waiedh Al-Shirazy Al-Ha'ery (known as Mirza Aaqa).

Such correspondence is included in his book entitled Merits of Composition and Art of Letter Writing, and the other book entitled Namei Namy. Copies of his letters on Basra were included within four manuscripts kept either in Iraqi Museum Library (Baghdad) or the Consultative Council (Teheran). These letters were inquired into and

investigated for students and researchers disclosing as such the rich heritage of Basra.

Key Words: (Mohammad bin Abdul Wahab Al-Hamadany, Correspondence, Basrah).

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الحمدُ لله الذي جعل الحمدَ مفتاحاً لذكره، وخلقَ الأشياء كلَّها ناطقة بحمدِهِ وشكرِه، والصّلاة والسّلام على نبيِّه محمَّد المشتقّ اسمُه مِن اسمه المحمود، وعلى آله الطاهرينَ أُولي المحامدِ والمكارمِ والجود.

وبعدُ، فكانت حضارتنا الإسلاميَّة ولا تزال زاخرة بعلمائها الذين لم يألوا جهدًا في خدمة الدِّين والإنسانيّة عن طريق نتاجاتهم الفكريَّة التي رفدت المكتبة الإسلاميَّة بمختلف العلوم والمعارف؛ لذلك فالتعريف بهم، والكشف عن سيرتهم، وعرض نتاجهم، وتبريز أثرهم الفكريّ فرضٌ يُمليه الضمير والوجدان؛ كي لا يعفو أثرُهم، وتضيع على الأجيال أخبارُهم.

وقدْ تناول هذا البحث مراسلات العلّامة الميرزا محمّد بن عبد الوهّاب ابن داود الهمذانيّ (ت١٣٠٥هـ) مع بعض أعلام البصرة الشِّيعة المغمورين، وجواباتهم، وهم:

١- السَّيّد ناصر ابن السَّيِّد أحمد ابن عبد الصَّمد الموسويّ البحرانيّ البصريّ (ت١٣٣١هـ).

٢- الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ.

٣- جعفر ابن الحاجّ أبي القاسم الواعظ الشِّيرازيّ الحائريّ، الشّهير بميرزا آقا.

النسخ المعتمدة

وردت هذه المراسلات ضمن كتابه المسمّى بـ: (المحاسن في الإنشاء والترسّل)، وكتاب (نامه نامي). وجدتُ أربع نسخ من كتاب المحاسن، وأمّا النسخ التي وردت فيها رشحات قلمه عن البصرة، فهي:

المخطوطة الأُولى

محفوظة في مكتبة مجلس الشّورى بطهران، ورقمها: (١٦٧٩)، وهي مسوَّدة منها، وبخطّه، ورمزنا لها بـ: (أ).

١- تقريظ الميرزا محمّد الهمَذانيّ على كتاب (قبسات الأحزان) للميرزا آغا الشِّيرازيّ نزيل البصرة، (ص ٥٤).

٢- قصيدة من الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ، وهي سبع وخمسون بيتاً، (ص٥٥ - ٥٨).

٣- قصيدة أُخرى من الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ، وهي ١١ بيتاً، (ص٥٨- ٥٩).

٤- ما كتبه الميرزا محمّد الهمذانيّ عنه، (ص٥٩- ٦٣).

٥- رسالة من الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ إلى الميرزا محمّد الهمذانيّ، (ص٦٣ - ٦٦).

٦- رسالة أُخرى من الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ إلى الميرزا محمّد الهمذانيّ، (ص ٦٦ ٦٨).

٧- جواب الميرزا محمّد الهمذانيّ، (ص٦٨-٧٠).

٨- رسالة من الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ من البصرة إلى الميرزا محمّد الهمذانيّ، (ص ١١٣ - ١١٤).

٩- جواب الميرزا محمّد الهمذانيّ، (ص ١١٤ - ١١٥).

١٠- رسالة أُخرى من الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ إلى الميرزا محمّد الهمذانيّ، (ص ١١٥ ١١٧).

١١- جواب الميرزا محمّد الهمذانيّ، (ص ١١٧).

المخطوطة الثانية

مكتبة المُتحف العراقيّ ببغداد، الرقم: (٢٦٥١٩)، بخطّ محمّد النجف آباديّ، ورمزنا لها بـ: (ب). ورد فيها:

فصلٌ في ما جرى بين الميرزا محمّد الهمذانيّ وبين الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ، (ص٢- ٥).

١- قصيدة من الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ في مدح الميرزا محمّد الهمذانيّ، وهي سبع وخمسون بيتاً، (ص٥ - ٩).

٢- قصيدة أُخرى من الميرزا محمّد الهمذانيّ، وهي ١١ بيتاً، (ص ٩ - ١٠).

٣- رسالة من الميرزا إسحاق الشيرازيّ إلى الميرزا محمّد الهمذانيّ، (ص١٠ - ١٤).

٤- رسالة أُخرى من الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ إلى الميرزا محمّد الهمذانيّ، (ص١٤- ١٧).

٥- جواب الميرزا محمّد الهمذانيّ، (ص ١٧ - ١٩).

٦- رسالة من الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ إليه، (ص ٢٠ - ٢٢).

٧- جواب الميرزا محمّد الهمذانيّ، (ص ٢٢ - ٢٣).

٨- رسالة من الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ، (ص ٢٣ - ٢٥).

٩- رسالة أُخرى من الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ من البصرة إلى الميرزا محمّد الهمذانيّ (ص ٢٥ -٢٦).

١٠- جواب الميرزا محمّد الهمذانيّ (ص ٢٦ - ٢٧).

١١- تقريظ الهمذانيّ على كتاب (قبسات الأحزان) للميرزا آغا الشِّيرازيّ نزيل البصرة، (ص ٢١٢ - ٢١٤).

المخطوطة الثَّالثة

مكتبة المُتحف العراقيّ ببغداد، الرقم: (١٤٦٧١)، ورد فيها:

١- ما كتبه إلى والي بغداد، تقيّ الدِّين، بعد رجوعه من البصرة في (٩ جمادى الأولى من سنة ١٢٩٩هـ)، (ص ٨٦ - ٨٧).

٢- ما كتبه إلى والي بغداد، السَّيّد محمّد تقيّ الدِّين، في (٧ شعبان ١٣٠٠هـ)، (ص ٩١ - ٩٢).

٣- ما كتبه إلى والي بغداد السَّيّد محمّد تقيّ الدِّين، في (١٧ شعبان ١٣٠٠هـ)، (ص ٩٢).

٤- ما كتبه إلى السَّيّد ناصر البحرانيّ، في (٢٩ جمادى الآخرة من سنة ١٣٠١هـ)، (ص ١٢١ - ١٢٥).

٥- ما كتبه السَّيّد ناصر البحرانيّ في جوابه، في (١٢ رجب من سنة ١٣٠١هـ)، (ص ١٢٥ - ١٢٧).

المخطوطة الرابعة

ما ورد في كتاب (نامه نامي)، نسخته محفوظة في مكتبة مجلس الشّورى بطهران، ورقمها: (٧٣٥٩)، بخطّ محمّد صادق ابن الميرزا حسين الشِّيرازيّ، في الكاظمين،(١٩ رجب المرجّب ١٣٠١هـ)، رسالتين منه باللُّغة الفارسيّة.

١- ما كتبه إلى أحد أعلام البصرة، (ص ١٦).

٢- ما كتبه إلى عبّاس قُلي خان قنصل البصرة، (ص ٤٧).

منهج التحقيق

وقد التزمنا في ضبط نصّ الكتاب وتصحيحه وتحقيق مسائله والتعليق عليه المنهج الآتي:

١- تحرير النَّصّ وَفق القواعد الإملائيّة المعاصرة.

٢- مقابلتها بالنّسخ، وتصحيح ما وقع في الكتاب من تصحيف أو خطأ أو سقط، ونحو ذلك.

٣- تخريج الآيات القرآنيّة الكريمة بعد ضبط شكلها، وجعلها بين الأقواس المزهّرة.

٤- تخريج الأحاديث والآثار والكلمات التي جاءت من غير النبيّ والأئمّة عليهم السلام من المصادر السابقة على المؤلّف أو المعاصرة له.

٥- كلّ ما وضعنا بين المعقوفتين [] ، فهو من المصدر المنقول عنه، وإلّا، فهو من عندي.

شكر وتقدير

لزاماً عليّ أن أشكر كلّ مَن أخذ بيدي بهذا الطريق، وكلّ مَن آزرني على تحقيق هذه المقالة بخاصّةٍ، وهم: والدي المعظّم الحاجّ فرمان لطف زاده -حفظه الله تعالى -؛ لحثّي على خدمة المذهب الحقّ والتعليم والتعلّم، وكلّ من المكتبات والأشخاص الذين قدّموا لي خدمة في ذلك، ولا سيّما مكتبة المُتحف العراقيّ ببغداد، ومكتبة مجلس الشّورى بطهران، ومكتبة آية الله الحكيم في النّجف الأشرف، وإدارة (مركز تراث البصرة) التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العباسيّة المقدّسة، والعاملون فيه.

فلهم منّي جميل الشّكر والامتنان، وجزاهم اللهُ خير جزاء المحسنين، ونسأل الله تعالى حسن النيّة والعاقبة. وألتمس مِن إخواني المؤمنينَ -ولا سيّما أهل البحث والتحقيق- أنْ ينبّهوني على ما قدْ يجدونه من الخطأ غير المقصود ممّا جرى به القلم وزاغ عنه البصر، فإنّ الإنسان موضع الغلط والنسيان، والكمال لله تعالى، والعصمة لأهلها، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات. وأُهدي عملي هذا إلى خاتم الأئمّة الأُوصياء الحجَّة بن الحسن عليه السلام؛ راجياً من الله القبولَ.

عبد ساداته محمّد

النّجف الأشرف، في جوار سيِّد الأوصياء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

(٢٤ رجب المرجّب ١٤٤١هـ)

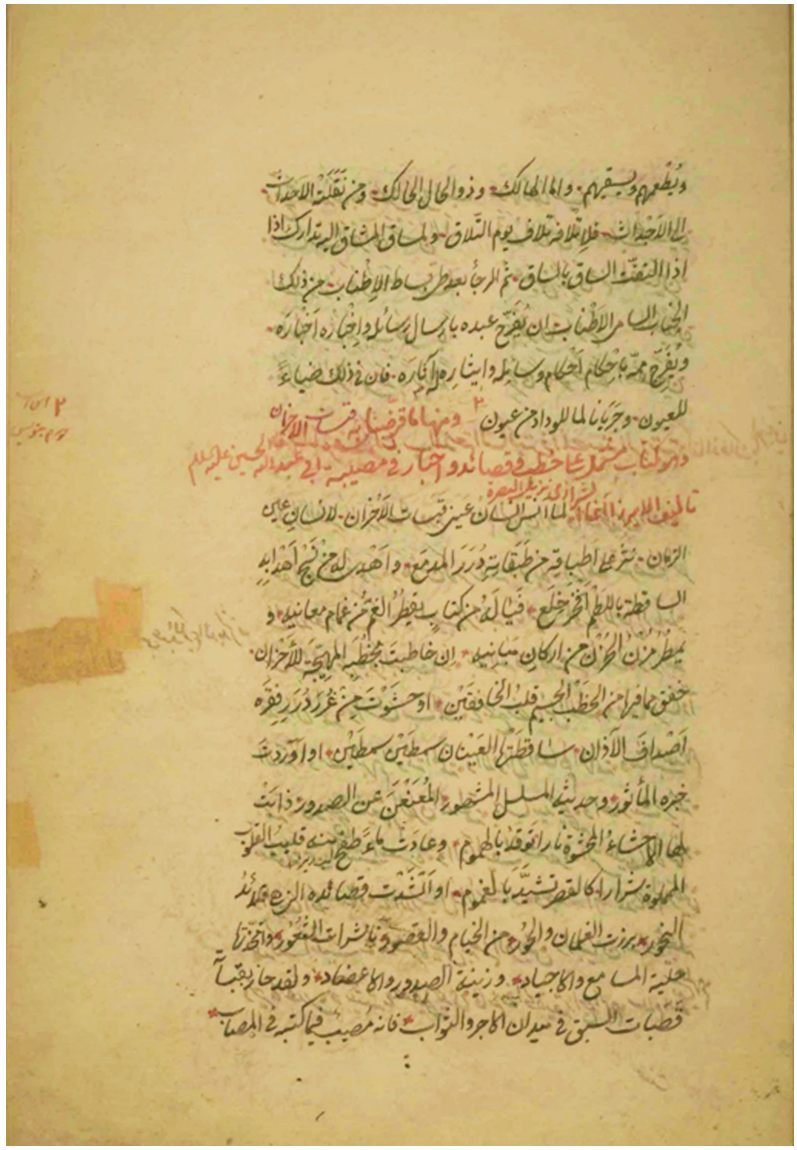

تقريظ الميرزا محمّد الهمَذانيّ على كتاب (قبسات الأحزان) للميرزا آغا الشيرازيّ نزيل البصرة، بخطّه الشَّريف

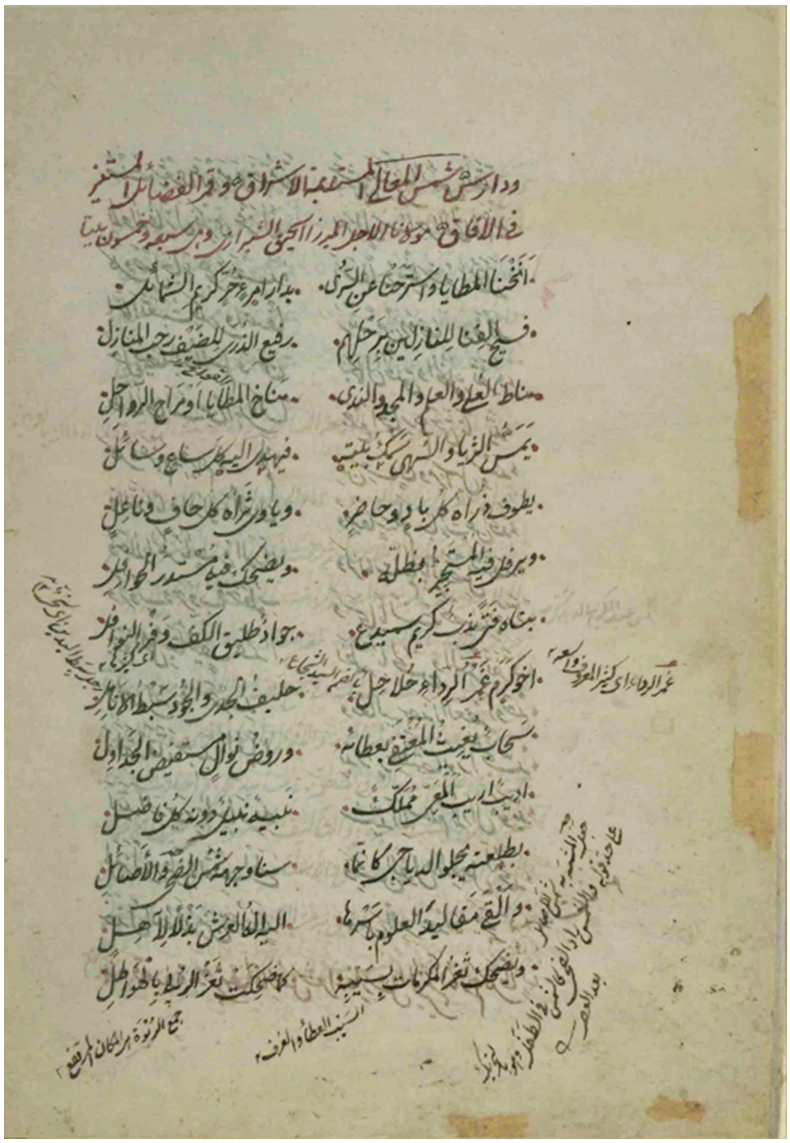

الصّفحة الأُولى من قصيدة الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ في مدح الميرزا محمّد الهمَذانيّ، وهي بخطّ الممدوح.

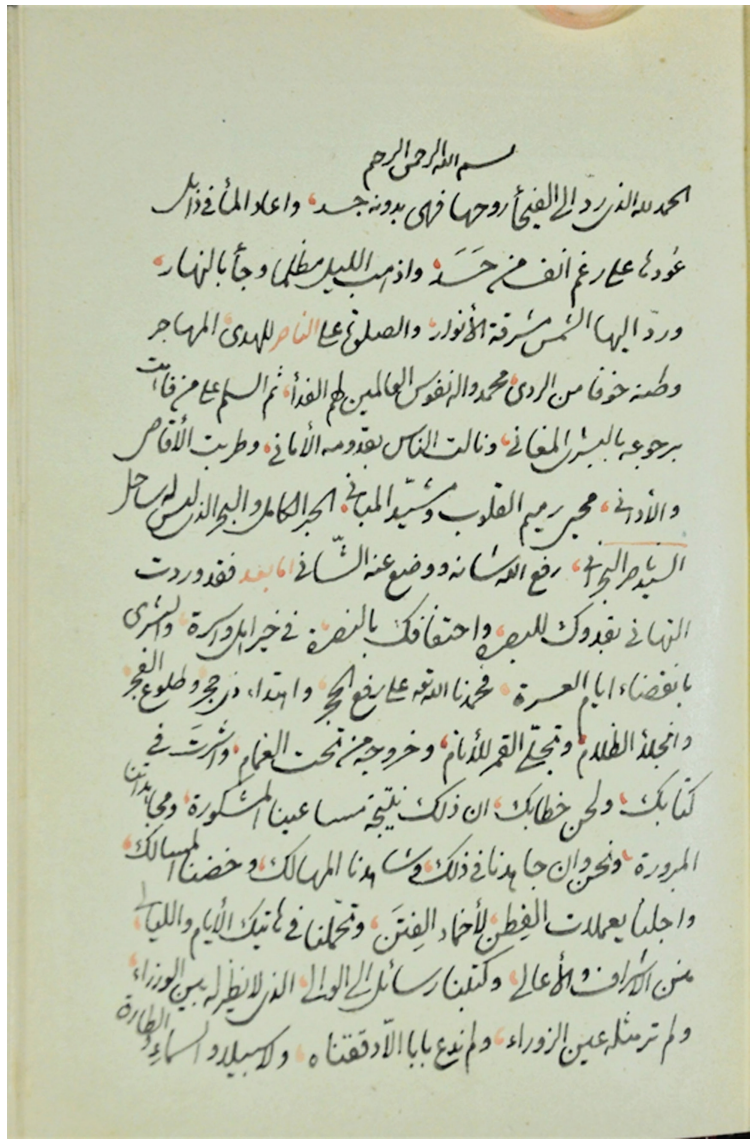

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي رد الى الفتيا روحها فهي بدونه جسد، واعاد الماء ذا بلل
عوده على رغم انف من حسده، واذهب الليل مظلما وجاء بالنهار
ورد اليها الشمس مشرقة الأنوار، والصلوة على الناصر للهدى المهاجر
وطئه خوفا من الردى محمد والنفوس العالمين له الفداء ثم السلم على من فاءت
برجوعه بالبشر المعاني، ونالت الناس بقدومه الأماني، وطربت الأقاصي
والأداني، محبر رميم القلوب ومشيد المباني، البحر الكامل والبحر الذي لم يساحل
السيد ابو البحر، رفع الله شانه ووضع عنه الشانئ اما بعد فقد وردت
النهاني بقدومك للبصرة واحتفافك بالنصرة في خير ابل وبشرة، وبشرى
بانقضاء ايام العسرة، فحمدنا الله على بزوغ الفجر، وابتدار ذي حجر وطلوع الغمر
وانجلاء الظلم، وتجلي القمر للأنام، وخروجه من تحت الغمام، وأثرت في
كتابك، ولحن خطابك، ان ذلك نتيجة مساعينا المشكورة، ومجاهدتنا
المبرورة، ونحن وان جاهدنا في ذلك في سبيل الله فقد هدانا المهالك، وخضنا المسالك
واجلبنا بعملات الفيظ لأحماد الفتن، وتحملنا في تلك الأيام واللياليا
من الكرائه والأعالي، وكتبنا رسائل الى الوالي الذي لا نظير له بين الوزراء
ولم ترمثله عين الزوراء، ولم ندع بابا الا دققناه، ولا سبيلا الا سلكناه

الصّفحة الأُولى ممّا كتبه الميرزا محمّد الهمذانيّ إلى السَّيِّد ناصر البحرانيّ، في (٢٩ جُمادى الآخرة من سنة ١٣٠١هـ)

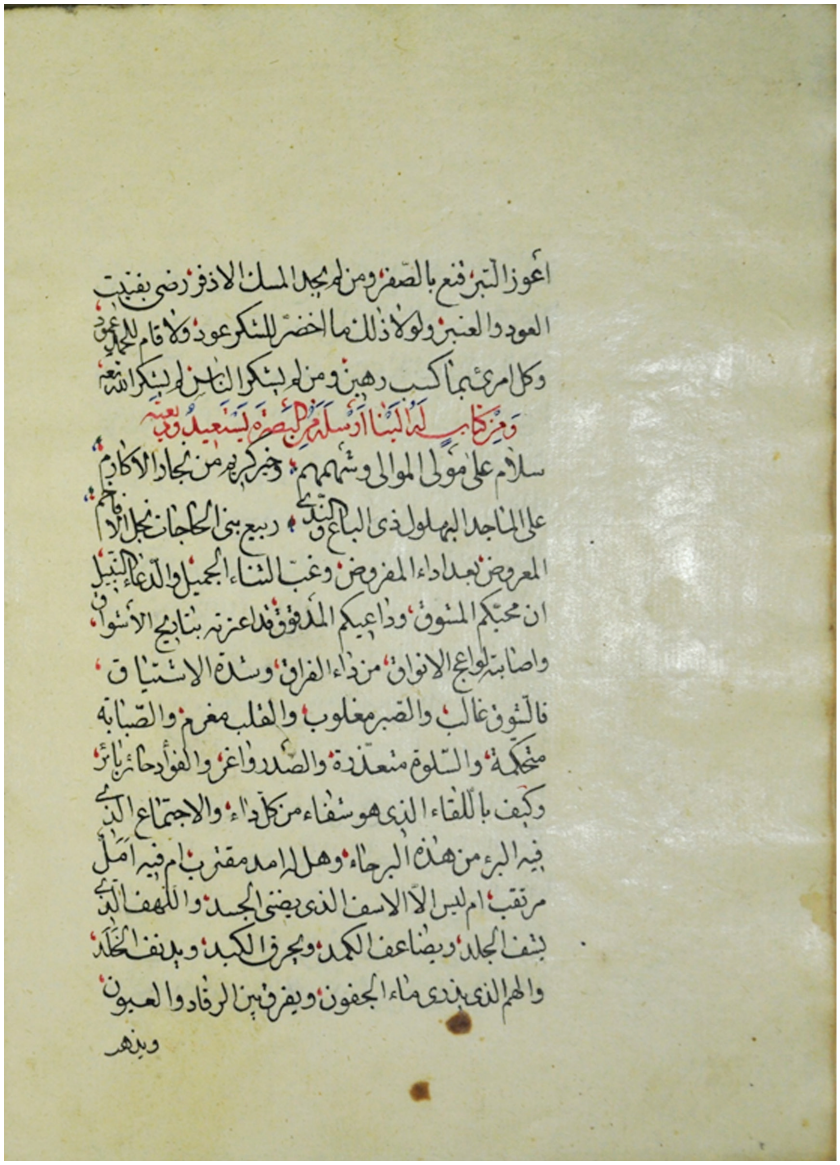

الصّفحة الأُولى من رسالة الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ من البصرة إلى الميرزا محمّد الهمذانيّ

ترجمة الميرزا محمّد بن عبد الوهّاب بن داود الهمَذانيّ الكاظميّ الحائريّ (ت ١٣٠٥هـ)

هو أبو المحاسن، الميرزا محمّد بن عبد الوهَّاب بن داود الهمذانيّ، الملقّب بـ: (إمام الحرمين). كان فقيهاً إماميّاً، نحويّاً، لغويّاً، مصنِّفاً، ذا يد طولى في العلوم الأدبيّة، وهو من علماء كربلاء المقدّسة. وكتب له علماء هذا البلد المقدّس إجازات كما سيأتي. ألَّف كتباً ورسائل كثيرة في مختلف العلوم؛ فلم يقتصر على علمٍ دون آخر، فكتب في الفقه والأُصول، والطبّ، واللُّغة، والمنطق، والنَّحو والصَّرف، وغيرها حتّى تجاوزت مؤلّفاته السَّبعين.

وقدْ لُقّب بـ(إمام الحرمين)، والمراد بالـ(الحرمين) حرم الإمام الكاظم والإمام الجواد عليهما السلام، وتوفّي سنة (١٣٠٥هـ)، ودُفن في الكاظميّة، كما قال الشّيخ آقا بزرك الطهرانيّ[١]، وذكره الشّيخ محمّد السَّماويّ في أوّل رسالة (عجائب الأسرار) للميرزا محمّد الهمَذانيّ[٢]، وعمر رضا كحَّالة[٣].

(١)

تقريظه على كتاب (قبسات الأحزان)

رأى الشّيخ آقا بزرك الطهرانيّ نسخة منه بخطّ المؤلِّف، وعليها تملّك إمام الحرمين الهمذانيّ، حيث قال:

«قبسات الأحزان، للمولى آقا ابن أبي القاسم الشِّيرازيّ الجهرميّ، مقتل فارسيّ، مرتّبٌ على خمسين قبسة.

أوّله: (نحمدُكَ اللّهمّ يا مَن لا يحتجبُ عن خلقِه إلّا أنْ تحجبهم الآمال، ...).

بدأ في كلّ قبسة خطبة، ثمّ قصيدة، ثمّ النقل عن المقاتل المعتمدة، مثل: (البحار) و(القوادح الحسينيّة)، وغيرهما. واستكتبه الحاجّ محتاج الخطيب الواعظ في طهران في (١٢٨٠هـ)، والنّسخة في موقوفة مدرسة البروجرديّ بالنّجف، وفيها النقل عن البكاء للبرقانيّ. ورأيت بخطّ الشيخ عبد الكريم الكاظميّ أنّه للسَّيِّد عليّ أكبر الجهرميّ، وأنّه موجود عند الشّيخ حسن القاري الحائريّ بكربلاء، يعني أبو الحبّ، ورأيتُ نسخة خطّ المؤلِّف عند السَّيّد محمّد الموسويّ الجزائريّ عليها تملّكه بخطّه، إمضاؤه كذا: (نمّقة الآثم جعفر بن أبي القاسم، الشَّهير بميرزا آقا الشِّيرازيّ الحائريّ الواعظ في (١٢٧٧هـ)، ونقش خاتمه: (المذنب آقا)، كتبه بجنب خطّ الميرزا محمّد بن عبد الوهّاب ابن آقا داود الهمدانيّ الكاظميّ، الذي كتب على ظهر النّسخة بخطّه تقريظاً لطيفاً نثراً ونظماً.

أوّل نظمه:

قبساتُ الأحزانِ أحسنُ ما أَلّفه النّاسُ في مصابِ الحُسينِ

وإمضاؤه: (إمام الحرمين، أبو المحاسن، محمّد بن داود)، ونقش خاتمه: (إمام الحرمين) بالطغرى.

وقبل التقريظ فهرست القبسات إلى القبس المتمّم للخمسين.

أوّله: (نحمدك اللّهمّ يا من لا يحتجب عن خلقه إلّا أنْ تحجبهم الآمال، فيقول العبد: ...، آقا ابن أبي القاسم الشِّيرازيّ الجهرميّ الحائريّ)، إلى قوله: (وسمّيته بـ: قبسات الأحزان وجمرات الأشجان، ...).

وفي أوّل كلِّ قبس يُورد خطبة، ثمّ يُورد قصيدة في الرِّثاء، ثمّ يشرع في ذكر المصائب، وهكذا إلى تمام الخمسين قبساً، وذكر في آخره أنّه أتعب نفسه كثيراً حيث جمعه بلا معين ولا أسباب، فيما يقرب من خمسة أشهر، شرع فيه أوائل شهر صفر، وفرغ في ثالث رجب في (١٢٧٥هـ)، وعبّر عن نفسه بـ: أقلّ الطلّاب آقا ابن الحاجّ أبي القاسم الشِّيرازيّ الجهرميّ، الحائريّ المسكن»[٤].

بناءً على ما ذُكر، فمخطوطاته ثلاثة:

١- حسن القاري الحائريّ الخاصّة/ كربلاء المقدّسة.

٢- السَّيّد محمّد الموسويّ الجزائريّ الخاصّة/ النَّجف الأشرف. وهي كُتبت في سنة (١٢٧٧هـ)، بخط المؤلِّف.

٣- مدرسة البروجرديّ/ النّجف الأشرف (١٢٨٠هـ).

ولم نجد هذه النّسخ في المكتبات. وإليك نصّ التقريظ:

«ما قَرَّظَنا به (قَبَساتِ الأحزان)، وهو كتاب مشتملٌ على خُطَبٍ، وقصائدَ، وأخبارٍ في مصيبة أبي عبد الله الحسين، تأليف الميرزا آغا الشيرازيّ[٥]، نزيل البصرة

لـمّا آنس إنسان عيني قبسات الأحزان، لإنسان عين الزَّمان، نثر على أطباقه من طبقاته دُرر المدمَع، وأهْدَى له من نَسْج أهْدابِه السَّاقطة باللَطْم أفخر خِلَع، فيا له من كتاب يقطُرُ الغمُّ مِن غمام معانيه، ويمطُرُ مُزْنُ الحُزن مِن أركان مبانيه، إنْ خاطبتَ بخطبه المهيّجة للأحزان، خفق ممّا فيها من الخطب الجسيم قلبُ الخافقَيْن، أو حشَوْتَ مِن غُرر دُرر فِقَره أصداف الآذان، ساقطَتْها العَيْنان سمطَيْن سمطَيْن، أو أوردتَ خبره المأثور، وحديثه المسلسل المشهور، الـمُعَنْعَن عن الصّدور، ذابَتْ لها الأحشاء، المحشوّة ناراً توقد بالهموم، وعادَتْ ماءً طفح منه[٦] قليبُ القلوب المملوّة شراراً كالقصر تشيد بالغموم، أو أنشدت قصائده التي هي قلائد النّحور، برزت الغلمان والحور، مِن الخيام والقصور، ناشرات الشّعور، واتّخذتها حلية المسامع والأجياد، وزينة الصّدور والأعضاد، ولقدْ حاز بقبساته قَصَبات السّبق في ميدان الأجر والثّواب، فإنّه مصيب فيما كتبه في الـمُصاب[٧]، وصحّ سند كتابه في كلِّ فصلٍ وباب.

وممَّا قلنا فيه:

قبساتُ الأحزانِ أحسنُ ما أل ... لفَه النّاسُ في مصابِ الحُسينِ
لفظه لُؤلُؤ يَرُوق ومَعْنا ... هُ عقيقٌ يجري مِنَ المقلتينِ
وأحاديثه تُذيب قلوباً ... ثمّ تجري دماً مِنَ العينينِ
ما رأى ناظراي عذْباً زُلالاً ... مُحرقاً وهو جُنّة الثقلينِ»

(٢)

مِن كتاب العلّامة الميرزا محمّد بن عبد الوهَّاب بن داود الهمَذانيّ (ت١٣٠٥هـ) إلى والي بغداد تقيّ الدِّين بعد رجوعه من البصرة

المعروض بعد إهداء جُنّة الأدعية المستجابة، وغبّ إتحاف هديّة الأثنية المستطابة، وتمهيد مباني السّلام، وتشييد مثاني ثناء الكلام، إلى حضور الذات، الزكيّة الصِّفات، الجامعة للكمالات، البدر المتلالي، والنجم المتعالي، في الأيّام واللَّيالي، حضرة الوالي - دام مجده العالي -.

إنّ الوالي وإنْ احتجب بالمسافرة عن الأنام، فهو كالقمر المحجوب وراء الغمام، ينفعهم بنوره، كما كان في ظهوره، ويفيدهم في غيابه كما كان في حضوره، وحضرتك السّامية وإن كنتَ في السّفر، وغائباً عن النظر، إلّا أنّك كنتَ معتكفاً في البال، حاضراً لدينا في كلّ حال، ولا سيّما في مظانّ الدَّعوات، ورفع الأكفّ إلى قاضي الحاجات، ومع ذلك فقدْ عمّنا بقدومك السّرور، وأمّنا بورودك الحبور، وانجلى عنّا ظلام الغيبة بظهور نور الحضور.

نسأل الله أنْ يكشف عن البرايا بمعدلتك كلّ محذور، ويبدل المعسور بالميسور، والسّلام عليك مدى الدهور.

(٩ جُمادى الأُولى ١٢٩٩هـ)

(٣)

ومِن مراسلاته إلى الوالي المزبور في التوصية بالسَّيِّد ناصر البحرانيّ:

أودّ أنْ أشير إلى ترجمة السَّيِّد ناصر ابن السَّيِّد أحمد بن عبد الصَّمد الموسويّ البحرانيّ البصريّ (ت١٣٣١هـ) قبل إعداد وتحقيق المراسلات المرتبطة به.

قال عليّ بن حسن البحرانيّ (ت ١٣٤٠هـ):

«العالم الفاخر، العلم الظاهر، والنّور الزاهر، المحقّق المعاصر، الركن المعتمد، السَّيّد ناصر ابن المرحوم السَّيّد أحمد ابن السَّيّد عبد الصّمد البحرانيّ، يتّصل نسبه الشّريف إلى مَن قدّمنا ذكرهم، وذكرنا شرفهم وفخرهم من العلماء الأعلام، والسَّادة الكرام، وهم آل أبي شبانة.

وحدّثني أيّده الله تعالى وحرسه: أنّ مسكن آبائه الأقدمين قرية (منى) من البحرين، ثمّ انتقلوا منها إلى قرية أرض (الزنج) من البحرين، وبيتهم الرفيع وأملاكهم فيها إلى الآن.

وحدّثني -أيضاً سلّمه الله تعالى-: أنّ آباءه وأجداده ينتهون إلى الإمام موسى ابن جعفر - عليه وعلى آبائه وأبنائه المعصومين صلوات ربّ العالمين - كلّهم علماء فضلاء أدباء كملاء، انتقل من البحرين مع أبيه إلى مسقط، ثمّ إلى العجم، ثمّ إلى زيارة العتبات الشّريفة، والمشاهد المنيفة. وحضر بحث شيخنا العلّامة المحقّق الشّيخ مرتضى الأنصاريّ، فأعجب به وطلب مِن أبيه إبقاءه في النّجف الأشرف للاشتغال ولو مقدار سنتين، فأبى وذكر أنّه غير محتاجٍ لذلك، وبالغ الشّيخ معه فيما هنالك وتكفّل له بمصارفه، فلم يرضَ أبوه بذلك، وكان أبوه

يعتقد فيه أنّه أعلم العلماء وأفضل الفقهاء، وانحدر على طريق البصرة، فيسّر الله لأهلها التشرّف عندهم بمقامه، وأنْ يكونوا مِن أصحابه وخدّامه، فشرف بمقامه قدرها، وعلا فخرها.

وكان السَّيّد المذكور آية من آيات الله في الذّكاء وقوّة الذاكرة، والملح، والنّوادر، والطرائف والظرائف، مع الجلالة والعظمة والوقار والهيبة.

وكان والي البصرة ورؤساؤها وسائر الحكّام من الخاصّ والعامّ يعظّمونه غاية التعظيم والإكرام، ويزورونه في بيته الرفيع المقام، وهو -أيضاً- يزورهم لحُسن المعاشرة والالتئام، لا يملُّه جليسه، ونسأل الله تعالى أنْ يُديم له البقاء السّعيد، ويمتِّع المؤمنينَ بيُمنه المبارك الرشيد؛ فإنّه تنقطع بموته هذه السِّلسلة الطيّبة؛ لعدم وجود خلف له مِن ذرّيته وطائفته، والظاهر أنّه ميئوس من الولد، والله ولي التدبير، وهو على كلّ شيء قدير.

وسمعتُ أنّ له الإجازة من العالم الفاضل الأفخر، الشّيخ مهديّ ابن العالم الشّيخ عليّ ابن الشّيخ الأكبر الشّيخ جعفر النجفيّ، صاحب (كشف الغطاء)، ولا أدري هل له إجازة مِن غيره أم لا؟

له مِن المصنَّفات كتاب في التوحيد، مجلّد وسط على قواعد الحكماء والمتكلّمين، حسن جيّد استعرته منه، وطالعتُه في بعض أسفاري للعتبات الشّريفة، وكتبتُ عليه بعضاً من المدح والتقريظ، وقد نسيتُ الآن اسمه، وله رسالة في مقدّمة الواجب.

وله منظومة في الإمامة ولا سيّما في أحوال يوم الغدير قرأ عليّ -سلَّمه الله تعالى- جملة منها، وله قصائد جيّدة في رثاء جدّه الحسين عليه السلام بليغة، ومرثيّة على

والده مليحة بليغة قرأ عليّ كثيراً منها، ولا أدري له من المصنَّفات غير ما ذكرناه أم لا؟

نسأل الله الكريم الحميد أنْ يمدّ له ولنا ولإخواننا المؤمنين-ولا سيّما العلماء- في العمر السّعيد، ويمتّعنا بالعيش الرغيد، ويوفّقنا إلى ما يحبّ ويُريد، ويختم للجميع منّا بخير عقبى وسعادة وشرف مزيد»[٨].

قال السَّيِّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ):

«عالم البصرة، والرئيس المطاع فيها وفي نواحيها، وكان محمود السِّيرة، محسناً إلى الفقراء والغرباء والمتردِّدينَ، شاعراً أديباً لم يعقب.

وكانت له خزانةَ كتب عظيمة بيعت بعد موته.

حدّثنا بعض النّجفيّين من قرّاء التعزية، قال: كنتُ مع رفيق لي بالبصرة، وكان فيها عرس لبعض أجلّائها نُظمتْ فيه قصائد التهاني، وهي تُنشد في الأيّام الثلاثة المعقود فيها المجالس لذلك على عادة العراقيّين، فعمدتُ أنا وصاحبي إلى قصيدتين من ديوان ابن معتوق، وغيّرنا فيهما اسم الممدوح، وجعلناهما تهنئة لصاحب العرس، وبكّرنا إلى المجلس، وأقنعتُ صاحبي بأنْ أقرأ قصيدتي أوّلاً فرضيَ، وكان قصدي بذلك أنْ أقرأها قبل حضور السَّيّد ناصر؛ لئلّا يعلم أنّها مسروقة، ففرغتُ مِن قراءتها قبل مجيئه، فلمّا جاء شرع صاحبي في قراءة قصيدته، فأظهر السَّيِّد ناصر استحسانها مع علمه بسرقتها، فقال له الحاضرون: إنّ لرفيقه هذا قصيدة قرئت قبلها لا تقصر عنها في الجودة، فضحك، وقال: قد فهمت، وسعى لنا مع صاحب العرس بصلةٍ وافرة»[٩].

قال السَّيِّد جواد الشبّر (ت١٤١٠هـ):

«سافر للبصرة، وكان الطلب من أهلها بالبقاء عندهم؛ إذ كانت مؤهِّلات رجل الإصلاح متوفّرة فيه، وهكذا أصبحت شخصيّته الوحيدة في البصرة، ونال بها زعامة الدِّين والدّنيا، وخضع له الأمراء والوزراء، وهابه الملوك والسّلاطين، وامتثل أمره القاصي والدّاني، وكان قاعدة رصينة للفضيلة، وتحقيق الحقّ، وإنَّ صدى أحاديثه وسيرته حديث الأندية، وسيبقى؛ لأنّه مثال من أمثلة الاستقامة والعدالة.

رأيتها في كتاب (أحسن الوديعة)، ويتناقل النّاس بإعجاب عظمته، وحسن سيرته، وخشونته بذات الله، وكيف كان لا تأخذه في الله لومة لائم، حتّى نقل لي بعض المؤمنين أنّ فلاحاً فقيراً ضربه أكبر أقطاعي بالبصرة، وصدفة جاء هذا الثري لزيارة السَّيِّد، فانتفض السَّيِّد غاضباً، واقتصّ منه لذلك الفقير، فما كان من هذا الثريّ المختال إلّا أنْ يعتذر ويقبّل يد السَّيِّد.

وعند ما نقرأ ما دار من المراسلة بينه وبين الشّيخ محمّد جواد الشّبيبيّ نعرف عظمة هذه الشّخصيّة ونفوذها الاجتماعيّ. ذكره الشّيخ النقديّ في (الرَّوض النَّضير)، فقال: عالم علّامة في علوم شتّى من الرياضيّة والطبيعيّة والأدبيّة والدِّينيّة، وكانت له حافظة غريبة قلّ ما توجد في مثله من أهل هذا العصر، وكان على جلالته يباحث حتّى المبتدئين من طلّاب العلم، ملك أزمّة قلوب الشّرق عموماً حتّى الملوك والحكّام، وكانت الدولة التركيّة تحترمه غاية الاحترام، وكان لكلامه نفوذ تامّ لديهم، وكان له توفيق غريب في الزعامة مع ديانة وأمانة ورصانة وعبادة وتقوى لإظهار أبّهة العِلم، حسن الملبس والمأكل والمشرب، يكره التقشّف وأهله. وذكره المصلح الكبير الشّيخ كاشف الغطاء في

هامش ديوان (سحر بابل)، فأطراه بما هو أهله»[١٠].

وله مؤرِّخاً الحسينيّة التي شادها الحاجّ منصور باشا بن جمعة القطيفيّ في البصرة، بأمر المترجَم السّيّد ناصر، وهو:

بيتٌ على التقوى استقرَّ أساسُه ... فغدا مثابة ناسكٍ أو زائرِ

لمَّا استقلَّ دعامُهُ أرَّختُهُ: ... منصور شيَّدهُ بأمرِ النَّاصرِ[١١]

ولد بالبحرين سنة (١٢٦٠هـ)، وتوفّي يوم الجمعة (٢٢ رجب سنة ١٣٣١) في البصرة، وعمره أكثر مِن سبعين سنة، ونقل إلى النّجف الأشرف في الفرات[١٢]، وقال السَّيّد حسن ابن السَّيّد إبراهيم آل بحر العلوم الطباطبائيّ النّجفيّ (ت١٣٥٥هـ) في تأريخ وفاته:

اليوم سيفُ ذوي الضَّلال مجرَّدُ ... إذ صارمُ الإسلامِ فيهِ مُغمدُ

اليوم (ناصر) آل بيتِ محمَّدٍ ... أرّخ: (بجنّات النَّعيمِ مخلّدُ)[١٣]

وأمّا المراسلات المرتبطة به، فهي:

ومِن كتابٍ له إلى والي بغداد:

سلامٌ من السّلام، يُهدى إلى وليّ الإنعام، ووالي الأنام، السَّيّد محمّد تقيّ الدِّين باشا، رزقنا الله بمعدلته انتعاشاً.

أمّا بعدُ، فإنّ السَّيّد ناصر البحرانيّ، المتوطّن في البصرة قد جلى الوطن، من حوادث الزمن، وأقام في المحمّرة، تجافياً من الفتن المدمّرة، وأنت تعلمُ أنّه -وعلّام الغيوب-، بريء ممّا نمي إليه براءة الذئب مِن دم يوسف بن يعقوب؛ فإنّه عالمٌ يفيد البريّة، مسائلهم الدِّينيّة، ووظيفته الدّعاء للدّولة العَليّة، والآن هو متردِّد في الإقامة هناك والرجوع إلى البصرة، لفقد النصرة.

والمرجوّ منك الالتفات إليه بكتابة كتاب المحبّة، وإرسال خلعة وجبّة، كما هو شأن الملوك والأُمراء، بالنِّسبة إلى العلماء، ليرجع مطمئنّ القلب إلى وطنه، ناشراً ألْوية الثناء، وأكفّ الدّعاء، وإنْ أذنتَ لنا أنْ نكتبَ إليه بالرّجوع إلى وطنه، والاستقرار في سكنه، فالأمر إليك، والسَّلام عليك.

(٧ شعبان ١٣٠٠هـ).

(٤)

ومِن كتابٍ له إلى الوالي المشار إليه:

سلامٌ أتمّ، يُهدى إلى الوزير الأكرم، والدُسْتُور المكرّم، والي الأُمم، السَّيّد محمّد تقيّ الدِّين باشا.

أمّا بعدُ، فمِن أبواب الجنّة باب العفو والشّفاعة، لأهل المعصية والطاعة، والسَّيّد ناصر البحرانيّ الذي جلى الأوطان، لحوادث الزمان، لائذٌ بالبابين، وعائذٌ بهما بين، يرجو عفوك الخطير، وبشفاعتك مستجير؛ فإنْ لم ينله عفوك فبمَن يلتجي، وفضل مَن يرتجي، فإنْ طردته عن بابك، رجع إلى جنابك، وإنّ نحيّته عن جنابك، تقرّب من أعتابك، فعادة السَّلاطين، الإغضاء عن المساكين، ولو أخذ الله النّاس بظلمهم ما ترك على ظهرها مِن دابّة.

فالرجاء الإذن لنا بالكتابة إليه بالرجوع إلى البصرة، والقيام بالدّعاء لك بالنصرة، وقد كتبنا إليك في ذلك قبل أيّام، ولمّا أبطأ عنّا الجواب، عزّزناه بثانٍ، والسّلام.

(١٧ شعبان ١٣٠٠هـ)

(٥)

ما كتبَهُ العلّامة الميرزا محمّد بن عبد الوهَّاب بن داود الهمَذانيّ إلى السَّيّد ناصر البحرانيّ البصريّ:

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الحمدُ لله الذي ردّ إلى الفيحاء روحها، فهي بدونه جسد، وأعاد الماء في ذابل عُودها على رغم أنفِ مَن حَسَد، وأذهب اللَّيل مظلماً وجاء بالنّهار، وردّ إليها الشّمس مشرقة الأنوار، والصّلاة على النّاصر للهدى، المهاجر وطنه خوفاً مِن الرَّدى، محمّد وآله نفوس العالمين لهم الفداء، ثمّ السّلام على مَن فاهت برجوعه بالبشرى المغاني، ونالت النّاس بقدومه الأماني، وطربت الأقاصي والأداني، محيي رميم القلوب ومشيّد المباني، البحر الكامل، والبحر الذي ليس له ساحل، السَّيِّد ناصر البحرانيّ – رفع الله شأنه، ووضع عنه الشاني –.

أمّا بعد، فقد وردت التهاني بقدومك للبصرة، واحتفافك بالنصرة، في خير أهل وأُسرة، والبشرى بانقضاء أيّام العسرة، فحمدنا الله تعالى على رفع الحجر، واهتداء ذي حجر، وطلوع الفجر، وانجلاء الظلام، وتجلّي القمر للأنام، وخروجه من تحت الغمام، وأشرتَ في كتابك، ولحن خطابك، أنّ ذلك نتيجة مساعينا المشكورة، ومجاهداتنا المبرورة، ونحن وإن جاهدنا في ذلك، وشاهدنا المهالك، وخضنا المسالك، وأجَلنا يعملات الفِطن، لإخماد الفِتَن، وتحمّلنا في هاتيك الأيّام واللَّيالي، منن الأشراف والأعالي، وكتبنا رسائل إلى الوالي، الذي لا نظير له بين الوزراء، ولم تر مثله عين الزوراء، ولم ندع باباً إلا دققناه، ولا سبيلاً

-والسّماء والطارق- إلّا طرقناه.

ولم نأل جهداً في بذل الهِمم، بقلم يطفح في جواهر الحِكَم، وقَدِم إلى منازل رؤساء الأُمم، إلّا أنّه لم يظهر مِن السّعي سعده، ولا أورى زنده، إلّا ببركة أجدادك الأمجاد، ولا سيّما الكاظم والجواد -صلوات الله عليهم أبد الآباد-، ودعاء صاحبك سلمان بن شيبان آناء اللّيل وأطراف النّهار، ودعاء غريب الدِّيار مستجابٌ على ما ورد في الآثار، وعلى كلّ حال، فالحمد لله المتعال، على أنْ كشف الغموم، وفرَّج الهموم، وأشرقت الدُّنيا وأضاءت الآفاق، وهي مِن قينة الحسود النطاق، فحقّ لي أنْ أنشد ما رقّ وراق:

ألقى الزّمـانُ إليَّ عـذرا ... فعذرته اللّهمّ غفرا
ولـئـن أســـاء فـإنّـه ... بقـدومِـك الميمـــون سُرّا
والوقت يـا مـا قـدْ حلا ... مِن بعد مـا كالحُـلم مرَّا
كـم أطلعتْ مـن بعـد مـا ... غـامت سمـاء المجد بدرا
ولـربّ صبحٍ غـــائب ... قدْ شَقّ عنه الشَّرق فجرا
هـذا وربّ مصـــادف ... مِن كـاسرٍ للعـظـم جبرا
يـا نـاصرَ الدِّيـن الحنيـ ... ـف ومَن حوى الأسرار طرّا
تدري بـأنّـك في الجـــلا ... أظهـرت للأعيـــان سرّا
والنفيُ بـعـدَ النـفي إثبـا ... تٌ بـــه الأعـــلام أدرى
والدَّهـر عبـدك فاعـف عن ... حدثـانه إذ كـنـتَ حرّا
أغنـــاك فـقـرُك للإلـ ... ـه ففُز بـه دنيـــا وأُخرى
لله فـــقـــرٌ يشتـكـي ... كـلّ الـوجـود إليـه فقرا

وثبـات جأشٍ منـك كالـ ... جبـلِ العظيـمِ بـك استقرّا
تجـري عـليـه الحـادثـا ... ت ضئـيلة وتُـردّ حسرى
هـل تستفرّ زعـازع الـ ... أعدا أخا الخنسـاء صخرا
نسـب الفسـادَ إليـك قو ... مٌ هُم به - حـاشـاك - أحرى
فركبـت فـلكاً قـد عـلا ... بك هـامـة الأفـلاك قدرا
فشـحـنـتـه بفضـائـل ... وقـرنته بـالعلـم وقـرا
ورحلـت عـن فيحـاء لم ... تحمـل من الأسفـار سفرا
وبـآل جـابـرٍ استجر ... ت وفي بنيـه جبرت كسـرا
وأقـمـتَ عـشـرة أشـهـر ... فـيهم نشرتَ العِلـم نـشرا
للخضـر كـنـت بمجمع الـ ... ـبحرين عش ما شئتَ خضرا
وَلَـكـم جـدار قـدْ أقـم ... ـتَ ومـا اتّخذتَ عليـه أجرا
لـك كـم رأينـا للعُـلا ... مـدّاً وللبحريـن جـزرا
والبصرة الفيحـاء أهـ ... ـلوهـا وقـاهـا الله شرّا
كـادت تـعـدّك للغنـى ... كـنـزاً وللحدثـان ذخـرا
وأتـى بريـد العـفـو عـمّـ ... ـا قـد جنبـت يحثّ سيرا
فرجعت للفيحـاء تنـ ... ـظرك العدى بالعين شزرا
وتـودّ مِـن حـنـقٍ تشـقّـ ... ـقُ قلـوبَـها غيظاً وقهرا
إنّي وقـد جـاءت لـدا ... رك جملةُ الأحبـاب تترى
مستبـشريـنَ بـمـقـدمٍ ... قـد أعـقـب الضـرّاء سَرّا
مـستـأنسـيـن بـطـلـعةٍ ... تحكى انفلاق الصُّبح غرّا

متـفـكّــهــينَ بـصُـحبــةٍ مِـــن راحةِ الأرواح أمـرى
لا زلــتَ تجـبـُــر مـنـهـم بـالعِـلـم والإفضـــال كسرا

وأمّا صاحبك سلمان[١٤]، فقلبُه يخفق للسَيْر، ويتمنّى لو أعاره جناحيه طير، لكن لم تساعده الأقدار، ولمْ تُساعفه على السَّير مطايا اللَّيل والنّهار، وأحرم لاستلام مراقد الأئمّة الأطهار، وزيارة مشاهد أنوار الملك الجبّار، وقد استأنسنا في هذه المدّة بمجاورته، وآنسنا نورَ اللّطف في فكاهته ومحاورته.

لو صُوِّر اللُّطفُ جسماً لكـان للطفّ روحـاً[١٥]

ورأينا فيه من مكارم الأخلاق، وعراقة الكرم وكرم الأعراق، ما يضيق عن حصر خصره النطاق، ولمْ ترَ عيني صديقاً يُدانيه، ولا رفيقاً حوى من النّجابة ما فيه، وقد مَسَحْنا بمجالسته من مرآة قلبه غبارَ أكداره، ومنحنا بمساجلته حتّى تخيّل أنّه في بحبوحة داره، واليوم هو عازم على المسير، محرم لبيتك المعمور، لا زال محطّ رحال شيع السّرور.

(٢٩ جمادى الآخرة ١٣٠١هـ)

(٦)

فكتب في الجواب (١٢ رجب ١٣٠١هـ):

الحمدُ لله الذي أمطر دِيْمَة الإحسان، على بقعة عالم الإمكان، فأبدع بذلك كافّة ما قد كان، وفتق رتق اللِّسان، بحسن النطق الحاوي لأحسن المعاني وأكمل البنيان.

والصّلاة والسّلام الأتمّان الأكملان على أفضل مَن مدّت عليه البلاغة رواقها، وشدّت عليه الفصاحة نطاقها، محمّد وآله سادات الإنس والجان.

أمّا بعدُ، فيا معين الشِّيعة، وأمين الشَّريعة، وكافل الأيتام، وكافي الأنام من مهمّات الأيّام، والإمام الهمام، وظهير الإسلام، إمام الحرمين، أبا المحاسن دام عمره مدَى الأعوام - قد وردت عليّ صحيفتك الغرّاء، ورقيمتك النّوراء، فطربت لها النفس ارتياحاً، واهتزّ لها الخاطر بهجة وانشراحاً، وما ذلك إلّا لما اشتملت عليه من جليل المباني، ولوّحت له من لطيف المعاني، ونشرته من أعلام البشرى وألوية التهاني، وأيمُ الله، لكأنّ مزاجها من تسنيم، وكأنّ طباعها مِن تنعيم، ولقد شربت منها، وتملّيت ولكنّي لفرط ظمائي ما ارتويت.

شربتُ الحُبَّ كأساً بعدَ كأس فما نفدَ الشَّرابُ ولا رويتُ[١٦]

وليس العجب من تلك الفكرة الوقّادة، والطبيعة النقّادة، كيف سمحت بتلك الدُّرر، وجادت بهاتيك الغُرر؛ إذ ليس التعجّب من ذلك إلّا كالتعجّب من البحر إذا طمى، ومن السّحاب إذا همى، وإنّما العجب من ذلك الإمام الهمام كيف رضيَ مع ما هو عليه من كمال الشّفقة على إخوانه، والعطوفة على خلّانه،

أنْ يورد عليّ من الإحسان ما يعجز الكواهل عن حمله، ولا تنوء الراسيات بتحمّل أعباء ثقله، فما أدري بمَ أقابل ذلك الفضل الغامر، وأجازي ذلك البرّ الوافر، غير أنّي أتجاسر وأقول:

وافى كتابك باسماً ... يفترّ منه الثغر بُشرا
وافى فضاعَ أريجه ... فالكون منه يضوع نَشْرا
وافى بأسعد طائرٍ ... تخِذ القلوبَ إليه وكرا
فكأنّما مِن لفظه ... تجلي على الرأيين درّا
وكأنّما مِن أُفقه ... أطلعتَ لي شمساً وبدرا
وكأنّ مِن تبيانه ... تهدي إلى الألبابِ سحرا
يا أيّها المولى الذي ... فاق الورى شرفاً وفخرا
عطفاً عليّ فإنّني ... حُمّلتُ مِن جدواك وقرا
لا أستطيعُ لحقّه ... حمداً ولا أسطيعُ شُكْرا
فابشر فإنّي ناشرٌ ... لكَ بالثنا ما عشت ذكرا
كم مشكلٍ أوضحتَه ... عنه العقول تردّ حسرى
وبحور علم طاميا ... تٍ خضتها بحراً فبحرا
سهّلت للعلياء نهـ ... ـجاً كان قبل اليوم وعرا
وفتحتَ عيناً للهدى ... وشرحتَ للإسلام صدرا
فلتشكُر العليا فعا ... لك فهي بالشُّكران أحْرى
وعليك منّى لا تزا ... ل تحيّة في الدَّهر تترى

ولَعَمْري إنّي فيما أقابله من شعرك كالذي يقابل الدرّ بالحصى، ويعارض

السّيف بالعصى، إلّا أنّ حسن ظنّي فيك حقّق لي أنّك ستُقابل ذلك بعين الرضا، وتُسبل على ما تجده من الهفو ذيل العفو والرِّضا.

وأمّا مخلصكم الحاجّ سلمان، فكلّ جوارحه ألسِنة ناطقة بالثناء عليكم، وجميع حبّات قلبه منجذبة بحسن المودّة إليكم، ولا شكّ أنّ جميع ما شمله من ألطافكم، وعمّه من إسعافكم، راجع إلى هذا المخلص الداعي لازلتم في نعمة وافرة إلى آخرة.

(٧)

وجرى بينه وبين الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ مراسلات ما نصّه:

فصلٌ في ما جَرَى بيني وبين شمس المعالي الـمُستدِيمَة الإشراق، وقمر الفضائل الـمُستَنِير في الآفاق، الميرزا إسحاق الشيرازيّ

واعلم أنّ هذا الرّجل كان مُولعاً بنشر الفضل وإحياء مواته، والهاً بجمع أسبابه، وتحصيل أدواته، حتّى أنّه نزع قميصَ وقاره، وباع أواني عقاره، لشراء كتب الأدب الفاخرة، ودواوين الشِّعر الزاهرة، وطفق بعد عدّ دراهمها في صرّة، وشدّ هِمْيانها ما بين العانة والسُرّة، ينادي، في كلّ محفل ونادي: مَن يملك كتاباً في الأدب، أو ديوانَ أحد شعراء العرب، فالرجاء والتمنّي، أنْ يبيعه منّي، فكلّما سئل عن كتاب وديوان، عُلِّق على جيِّد سؤاله تميمة الحرمان، إلى أنْ سأل أربابَ الألباب، وأُولي البصيرة في الآداب، فَهدَوْه إليّ هدايةَ العطشان إلى السّراب.

وقالوا له: لا يوجد الحباب إلّا في الشّراب، ولا الوَرْق إلّا في السّحاب، ولا

البُرد إلّا في اليَمَن، ولا الجوهر إلّا في المعدن، ولا السُّكر إلّا في الخمر، ولا النُّور إلّا في الجمر، ولا اللُّطف إلّا في النّسيم، ولا العُذوبة إلّا في تسنيم، ولا القلائد والأطباق، إلّا في الصّدور والأعناق، ولا الحِجل والخلخال، إلّا في السّاق، ولا السّلافة إلّا في الحان، ولا المَيَلان إلّا في الأغصان، ولا الحور والغلمان إلّا في الجنان، ولا الجود إلّا عند حاتِم[١٧]، ولا الفصّ إلّا في خاتِم، فاقصد حَرَمه مجمع الشرائف، ومجتمع الطرائف، وكعبة اللّطائف، البادية لكلّ طائف.

[مكتبة الميرزا إسحاق الشِّيرازيّ]

فإنّه مخزن نفائس كتب الأدب، ومعدِن فواخر دواوين شعراء العرب، كـ: مجمع الأمثال للميدانيّ، ومقامات البديع الهمَدانيّ، ومختصر أغاني الأصبهانيّ، ونوادر أبي زَيْد، وشروح مقصورة ابن دُرَيْد، وقطف الزهر، ويتيمة الدّهر، ودمية القصر، وسلافة العصر، وريحانة الألبّاء، وتحفة الأحبّاء، وحياة الحيوان، وعقود الجمان، وشروح المعلّقات السّبع، والبديعيّات التسع، ونشوة الغرويّ، وبهجة الهرويّ، وقلائد العقيان، وتأريخ ابن خلّكان، والمثل السّائر، والفلك الدائر، وأدب الكاتب، ومجمع المناقب، وأساس الزمخشريّ وفائقه، وكامل المبرّد ورائقه، وغيث الأدب، وأطواق الذهب، وجوامع الحكم، ونوابغ الكلم، ونشوة المدام، وجواهر الكلام، وحماسة أبي تمّام، وعقود الدُرر، والدّرر الغُرر، ووشاح الرود، وكتاب المقصور والممدود، وأنيس المسافر، وجليس الحاضر، والسّامي في الأسامي، وشروح القاموس، ورسائل الأمير قابوس، وسرّ الأدب، وأطباق الذهب، وكتاب الأنوار، والروض المِعْطار، في أخبار الأقطار، وكتاب ليس

والعين، وجنى الجنّتين، ونوادر ابن الأنباريّ، ومصادر ابن أَوْس الأنصاريّ، وفقه اللّغة ومُزهرها، وطرازها ومُبْهرها، ونور العين في شرح بيتي الرقمتين، وحَوْليّات كعب[١٨] ومنشئات الصادَيْن، ورسائل ابن العميد، وشرح ابن أبي الحديد، وقصائد عامر الشعبيّ، والأخطل التغلبيّ، ومجالس ابن مزاحم الكلبيّ، وما صدر من الزنديقين: بشّار وحمّاد، وما سُمِع من الأصمّ والمقداد، وعنترة ابن شدّاد، وعمارة بن زياد، ومشاجرات أبي محمّد اليزيديّ والكِسائيّ بحضرة الرشيد، ومناظرات الأصمعيّ مع ابن الأعرابيّ في بعض الأناشيد، وأشعار ربيعة ابن عثمان الكِنانيّ وهاني بن تَوْبة الشَيْبانيّ، والمقنّع الكنديّ، والمخبّل السّعديّ، وعمرو بن هُذَيل العبديّ، وابن عَبْدل الأسديّ، وأبو النّشْناش وخُوَيْلد بن مُرّة أبو خُراش، وذو العينين، وابن عوف حبيب.

وغير ذلك ممّا يحتاج إليه الأديب، ككتب الأحاديث المشهورة، وصحف الأدعية المأثورة، كزاد المعاد، والصحائف للإمام زين العباد، وحضرة السّيّد السجّاد، ومهج الدعوات، وسفينة النَجاة، ومفتاح الفلاح، وما للكفعميّ من مصباح، وذريعة الضراعة، والجُنّة الواقية، فإنّه لم يبق من أدوات الأدب باقية، وصرف مِن عمره مُدّة، إلى أنّ جمع هذه العُدّة، فطفق هؤلاء الأشراف، مِن حسن الإنصاف، يكسوني حُلَل الأوصاف، وينثرون عليّ دُرر الألطاف.

وحدّثني الشّيخ الجليل موسى بن إسماعيل، قال: حضرتُ مجلس أحد الأئمّة الإسماعيليّة[١٩]، فوجدتهم يصفوك وصف الأسد بالشّجاعة، والبحر والجواد بسعة السّاحة والراحة، وإذا بشمس المعالي إسحاق انطلق من مكانه، وهو متمنطق بهِمْيانه، وأظنّه أقبل على دارك، ليصطلي بنارك.

قلت له: بينما أنا في كسالة من صيام رمضان ونحول، وحالة لم أدر فيها بما أقول، إذ أقبل رجلٌ أسمر، مُرْتَدِياً برداء أحمر، وقبّل يدي بعد أنْ سلّم، واستأذن لإنشاد ما أنشأه في مدحي بمحضر الأُمم، فسكتُّ مُعْرِضاً، فاستكشف من سكوتي الرِّضا، وأنشد يقول:

أَنَخْنَا المطايا واسترَحْنا عن السُّرى
بدار امرئ حُرٍّ كريمِ الشَّمائلِ
فسيح الفِنا للنازلين برَحْلِهم
رفيع الذُرَى للضَيْف رحْب المنازلِ
مناط العُلا والعلم والمجد والندى
مُناخ المطايا[٢٠] أو مُراح الرواحلِ
يَمَسُّ الثريا والسُّهى سَمْكُ بيته
فيهدي إليه كلّ ساعٍ وسائلِ
يطوف ذُراه كلُّ بادٍ وحاضرٍ
ويأوي ثَراه كلّ حافٍ وناعِلِ
ويرفل فيه المستجِير بظلّه
ويضحك فيه مُستدرُّ الحوافِلِ
بناه فَتىً ندب كريم سميدع
جوادٌ طليق الكفّ وَفْر[٢١] النَّوافلِ
أخو كَرَمٍ غَمْر الرِداء[٢٢] حُلاحِل[٢٣]
حليفُ الجدى والجُود سَبْطُ الأناملِ[٢٤]

سحابٌ يُغِيثُ المُعْتَفي بعطائه
وروضُ نوالٍ مستفيضُ الجَداولِ
أديبٌ أريبٌ ألمعيٌّ مُمَلّكٌ
نبيهٌ نبيلٌ دونَه كلُّ فاضلِ
بطلعته يجلو الدَّياجي كأنّما
سنا وجهه شمس الضحى والأصائلِ[٢٥]
وأَلقَى مقاليدَ العلوم بأسْرها
إليه إلهُ العرش بَذْلاً لآهِلِ
ويضحك ثغر المكرمات بِسَيْبِه[٢٦]
كما ضحِكَتْ ثغرُ الرُبى[٢٧] بالهواطِلِ
يكادُ يُضاهي وجهَه البدرُ مشرقاً
إذا لم يكن بَدرُ السَّماء بآفِلِ
هو البحرُ إلّا أنّ أمواجَه العُلا
يَمُجُّ[٢٨] عُباب العِلمِ مّجاً بساحلِ
فأحْيَى رَميمَ العلمِ بعد دروس
وداوَى سَقامَ الجهل عن كلّ جاهلِ
به اخضرَّ روضُ العلم والدين والتُقى
كما اخضرَّ قُضبانُ الرياضِ بوابِلِ[٢٩]
أَقَرَّ لَه بالبُخْل كعبُ بْنُ مامةٍ
وباء له بِالعَيّ سَحْبانُ وائلِ

و يجتلب الألبابَ إصغاءُ شعره
كما اجتلبَ الأرواحَ سجع البلابلِ
أكَبَّ عليه طالِبُو العلم مثل ما
أَكَبَّ الصَوادي لانتِهال المناهلِ[٣٠]
وكمْ مِنْ خطيبٍ عنده ذا فَهاهَةٍ[٣١]
وكمْ مِن أَريبٍ عنده مثل باقلِ
فتىً زانَه علمٌ وحلمٌ وسُؤددٌ
فأضْحَى فريداً في فنون الفضائلِ
محمّدُ علّامُ العلوم رَبيبُها
سلالةُ بيت المجد صدرُ الأفاضلِ
محمّدُ خَلّاقُ البيان وربّه
ومُفْتَضّ أبكار النُهى بالدّلائلِ
محمّدُ غوّاص المعاني وحِبرها
أبُو عُذرِ[٣٢] معقودات حلّ المسائلِ
فليس لسامي جوده من نهاية
وليس لطامي مجده مِن سواحلِ
أنيقٌ معانيه رفيق بيانه
كما رَقَّتْ إذ هَبَّتْ نسيمُ الشّمائلِ
له قلمٌ يُغنِي غناءَ مُهَنّدٍ[٣٣]
ويفعل فعلَ الذابِلات[٣٤] العواملِ

لهُ خُـلـقٌ أزكـى من المسـك نكهةً
وأَعْبَقُ مِن زَهْرِ الرُبى في الخمائلِ[٣٥]

وكـــم لـــوذعيّ بـــارعٍ متـدرّب
يُلِمّ إليه عـنـد حَـلِّ المشـــاكـلِ

وإن مُدَّتِ الأيدي إلى المجدِ والعُلا
فأسْبَـقُـهـا يُـمـنـــاه عند التنـاولِ

ودانَـتْ لـه العليـــاء طـوعـاً كـأنّها
مُعَنّىً[٣٦] له قد فكّها مِن سلاسلِ

تسِيرُ العطـايـا حيـثُ سـارَ وإنّما
تَحُبُّ[٣٧] كوَخْدِ اليعملاتِ الرواحلِ

يجود كـما جـاد الغمامُ على الوَرَى
ويُشرِق إشراقَ الذُكـا[٣٨] في القنـابلِ

وإنْ نابَتِ الجُلَّى عليكم فيَمِّموا
ذُراه لـريـب الحـادثـاتِ الفَداكِلِ[٣٩]

فغُـرّتُـه نـجـم مضـيءٌ لظلمةٍ
وأنْمُلُه غيث مَريـعٌ[٤٠] لِمـاحِلِ[٤١]

وأموالُه لابـن السبيـل مُبـاحةٌ
ونـعـمـاؤه مـنـدوحـةٌ للأرامـــلِ

وأبْـيَـضُ وَضّـاح الجبيـن كـأنّـه
سَنـا وجهِه كالبدر بين الأمـاثلِ

وكيف يُبـاري خصمُه في فخارِه
وأنّى يقـاسُ الحقُّ محضاً ببـاطلِ؟!
عَطـايـاهُ تجري قبلَ إجراءِ وَعْدِه
وجَدْواه يمشي قبلَ إلحـاحِ سـائلِ
يَسُحُّ[٤٢] لُهـاه سَحَّ أَمْطـار دِيـمَةٍ[٤٣]
ويجري نَداه جَرْيَ مـاءِ الجداولِ
ويُشْجِي[٤٤] عداه غُصة فوقَ غُصةٍ
وصَدرُهم يغـلي كـغلي المراجـلِ[٤٥]
لقد شـادَ شرعَ المصطفى بعد هَدْمِه
وقَوَّم رُكْنَ الدين بعد التمـايُلِ
مِن النَفَر الزاكين في العلم والحِجى
غطارفة[٤٦] الدُّنيا سَراة[٤٧] القبـائلِ
نجومُ دُجىً أفلاكُها مَجْدِ[٤٨] العُلا
ومَطْلَعُها أفـق النّـدى والنَّوائـلِ
أشدّ نزالاً[٤٩] مِنْ ليوثٍ ضراغم
وأَجْرَى نوالاً من سحـابٍ ووابـلِ
وأَوْفى ذِماماً[٥٠] مِن وَفِّي الذَمـائم
وأزْهَى وُجوهاً من بُدورٍ كَوامِلِ
كواكب مَجْدٍ بُرْجُها مطلع المنى
وأنْجُم جُودٍ في سماء الفواضِلِ

فدارهُمُ مَغْنَىً[٥١] لِعافٍ[٥٢] ومُجتَدٍ
ونـــارهُمُ مشبـوبـةٌ للنَـــوازِلِ
ويبلغ جدواهم إلى كـــلّ مُعْدِم
ويأكُل مِنْ نعمائِهم كـلُّ آكِلِ
عيـونٌ وَرِثْنَ المجدَ مِـنْ أَقْـدَميهم
فـآخرُهُم وَفْـرُ النَّدى كالأوائلِ
منـاقـبُـهم تُتلَى بكـلِّ مجـــامِعٍ
وبِرُّهُم يَجْتـابُ[٥٣] كـلَّ المحـافِلِ
فـإنْ عَنَّ جَدْبٌ للورى أو مُلِمّةٌ
فكَفُّهم كالغـاديـاتِ[٥٤] الهـواطِلِ
فهـــاكَ عروساً قدْ زففت يجلـيها
مزيّـنـة ذاتِ البُرَى والخـلاخِـلِ
بمـدحِـك قـد زوّجتُـها وجَلَوْتُها
فـأكْـرِم بممدوحٍ وأكْـرِم بقـــائلِ
فَـدُمْ آمِناً في ظـــلّ أمْـــنٍ وعـيشةٍ
مدى مـا تغنّى الوَرْق وسطَ الخمائلِ
بأَيْـــمَن إقبـــالٍ وأسْعَد طـــالعٍ
تعـيش رغـيداً شـاغِلاً عن شواغِلِ

(٨)

فلمَّا فرغ مِنْ إنشادِ هذهِ القصيدة، المزرية بالفريدة، التي هي سبعٌ وخمسونَ بيتاً أنشدتُ له في الحالِ، ما يَنُوْب عن الزلال:

رُويدَك هـل أبقيتَ قـولاً لقـائـل؟
وحسبُك هـل غـادرتَ سِحراً لبابلِ؟
لَعَمْري لقد أَنْشَرْتَ سحبـانَ وائل
وقسّ إيـادٍ مِـن طـويِّ الجنـادِلِ
وطُلْتَ على الظِّليل حتّى كأنّه
على طُولِه لم يـأتِ يوماً بِطـائـلِ
وذُقْتَ لديهم من موائد فضلهم
وفُقْتَ عليهم في جميعِ الفضـائلِ
فوارِسُ[٥٥] رامُوا أن يَنالوا فَقَصَّروا
وأيـنَ الثُّريّـا مـن يـدِ المتنـاوِلِ؟
فكنتَ المجلّى مُحـرِزاً قَصَبـاته
وكانُوا وقدْ جَدّوا مكانَ الفَسـاكلِ
ومـا كُـلّ مَن رامَ المعـالي ببـالغٍ
ومـا كـلّ مَن رامَ النِّصال[٥٦] بناصلِ
فـأنتَ وإنْ كنتَ الأخـير زمـانـه
لآتٍ بفَضْلٍ ليـس طَـوْعَ الأوائـلِ[٥٧]

إذا اعْتَاصَتِ الآدابُ رُضْتَ صِعابَها
بِعَضْب[٥٨] حِجَىً أمْضَى مِنَ السَّيفِ كاملِ
فدُونكَها مِنّي شهادةَ صادقٍ
كثيرٌ ذَوُوا تصديقِها في المحافِلِ
وعِشْ سالماً ما افْتَرَّ مبسم بارِقٍ
وأضحكَ دَمْعُ المُزْن زَهْرَ الخمائلِ

ثمَّ دارتْ بيننا كؤوس مناظرات فيها منافع للنّاس، ويطيب بها إن سمعوها عيش الجُلّاس، ثمّ استوهبني بعض كتب الأدب، ولمْ يدر أنّها أعزّ على الأديب مِن الأُمّ والأب، فقلتُ له: دَع هذه المقالات، فأنا أدعوك للملاقاة بعد مُضيّ شهر الصِّيام، ولم يبقَ منه إلّا أيّام، فسلّم وودّع، ودعا لي بالخير وأبْدَع، فلم يمضِ يوم أو يومان، إلّا وأرسل إليّ شواظاً من البيان.

(٩)

وهذا لَفْظُ ما كَتَبَه:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

إنجازُ الوعدِ حقٌّ متعيِّنٌ، وفرضٌ متيقَّنٌ، وحَبْل يجب إمرارُه[٥٩]، ويلزم إبرارُه وإخفارُه، فطوبى لَمن عمل بمقتضاه، وزرع بذراً فرَبّاه ورَيّاه، وغرس غصنه فسقاه وأنْماه؛ فإنّ الكريم إذا قال قولاً فعل، وإذا تكفّل شيئاً أتمّ وأكمل، وإذا غاص في بحرٍ أخرج الدُرر، وإذا دخل روضةً اقتطف الزهر، والحُرّ إذا وعد

وفى، وإذا تعهّد كفى، وإنْ دُعِي أجاب، وإذا سُئل لمْ يُجبَه بالرَّدّ ولا أخاب، ولو نزع قوساً رمى وأصاب، وإنْ ادّعى أمراً أقام برهانه، أو وزن أتى بميزانه؛ فإنّ العهود على أهل النُّهى ذِمم، وتحقيق أقوالهم ألزم، فأنجَزَ حُرّ ما وعد، وسحّ خالٌ[٦٠] إذا رعد، فاكتَحِلْ عينك بالذّكر الحكيم، واعتبِر بكلام الله العليم، فإنّه قولٌ فصل، وما هو بالهَزل، حيث كشف قناع هذا المرام، ووصّى في هذا المقام، بلزوم رعايته، وإعلاء رايته، فقال جلّ وعلا: ﴿**الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا**﴾[٦١] فالشَّرط أملك، وناقضه يكاد أنْ يهلك.

إنّ الكريمَ إذا أتاكَ بموعدٍ أعطاكَه سَلِساً بغيرِ مطالِ[٦٢]

فإنّ الوعد بلا إنجاز، كنبيٍّ أُرْسل بغير إعجاز، وعروس زُوّجت ودونها الحُجّاب والحُجّاز، وأيم الله إنّ القول الكاذب، أفضح من البرق[٦٣] الخالب، والماء النَّاضب[٦٤]، والعِلم العازب[٦٥]، فمَثَلُه كمثل زند غير وريّ، ووِرْدٍ غير رويّ، ونقد مقلوب، ومتاع معيوب، وما هو إلّا كوَرْد بلا نكهة، وروض بلا نُزْهة، أوّله حلوٌ وآخره مُرّ، ظاهره نفعٌ وباطنه ضُرٌّ، قريبٌ مُناه، بعيدٌ مَداه[٦٦].

فأكرم الشِّيَم، وأعود النِّعَم، الصِّدق التامّ، والحقّ المحض، والودّ الخالص، وأحمد الخصال، وأجمل الخلال، إنجازُ الوعد؛ فإنّه عماد التقوى ودعامة الدِّين، وركن الإيمان وحلية العارفين، وثمرة الأدب، ونتيجة الحسب، وعلامة السِّيادة، وأمارة السَّعادة، وميزان الفتوّة، وبرهان المروّة.

وأحسن الأخلاق الرغيبة، والأحلام العظيمة، والآثار الجليلة، والأفعال الجميلة، التي بها يمتاز الكامل من النّاقص، والزَيف[٦٧] من الخالص، والشرَّيف من الخسيس، والرديّ من النفيس، والأحرار من العبيد، والأوغاد[٦٨] من

البهاليل[٦٩] الصِّيد، فلنعم الفتى مَن جعله نصب عينيه، وقد مرّ أمامَه، وحفظ ذِمامه[٧٠]، قاد زِمامَه، ولم يضرب عنه صفحاً، أو يطو عنه كشحاً.

ولقد أخطأ مَن غَضّ عنه عيونَه، وسَدَل[٧١] ثوب النسيان دونه، ولولا أنّ السَّهو والنِّسيان، من لوازم فطرة الإنسان، وأنّ لكلّ صارِم نَبْوَة، ولكلّ جواد كَبْوَة، وأنّ أفعال المسلمين -ولا سيّما إمامنا العادل- يُحْمَل على أحسن الوجوه وأصحّ المحامل، وأنّ للمعاذير لمندوحة عن الكذب، لقلتُ إنّ الصاحب الجليل، والمخدوم النبيل، ممّن لم يحفظ الجوار، ولم يُحامِ الذِمار[٧٢]، ونكث العقود، ونكَصَ[٧٣] عن العهود، وحاشا أنْ يترشّح لذلك، أو يكون سالكاً لهذه المسالك، أو امتَطى مركب الخلف للميعاد، وسَفَّ[٧٤] هذا الرّماد، حتّى يجعل نفسَه مرمىً لنِبال الذَميمة، وغرضاً لسِهام النَميمة، وفريسةً لسباع الملامة، وأُكلة لضباع النَّدامة، فنغّصَ عيشَ إخوانه، وأقْذَى عين خُلّانه.

لكن مولانا - عَزّ عُلاه، وأطال الله بقاه - أجلُّ مِن أنْ يعِد ولا يفي، ويقول ولا يفعل، وأرفعُ مِن أنْ ينسى ما قاله، ولم يُلاحِظ مثاله، ويخلق ديباجة المروّة، ويضيع حرمةَ الفتوّة، ويُخطِّئ الطريق، ويُحرِم[٧٥] عن التوفيق، ويركب مركب التناسي، وخلع عِذارَه[٧٦] في التغابي[٧٧]، فإنّه - أيّده الله - أوفى من المحبّ إلى الحبيب، ومن المريض إلى الطبيب، وأصدق مِن وعد الثريّا بالقمر، وأنجَحُ مِن وعدِ الغمام بالمطر، وحاشاه أنْ يجعل عهدي وراءَه ظِهْرِيّاً، أو صَيَّره نسياً منسيّاً، ومعاذ الله أنْ يمطل في ميعاده، ويرجع عن عهاده[٧٨]، إلى هنا انتهى كتابُهُ.

وأنا ما أجبتُه بأفصح من السُّكوت، وكَوَيْتُه بمِيسَم[٧٩] الحِرمان وتركتُه يلْتوي إلى أنْ يموت، فأرسل رسولاً يقول عنه: أجِبْ ولا تتفكّرْ، فالابتداء أنثى

والاقتفاء ذكر.

فقلتُ له: أبلغه عنّي السّلام، وقل له: يقول الإمام: العِفّة تقبض جناني من الإنشاء، وتمنع لساني من الإفشاء، فاسكُتْ وإلّا لألقمتك الحجر، ونَفَختُ عليك مِن ناري ما يصليك سَقَر، على أنّا أجَبْناه لو تَنَبّه؛ فإنّ السّكوت جواب الأبْلَه، فما خمدتْ حرارتُه، ولا سكنتْ شَرارتُه[٨٠]، بل عَزَّزَ كتابَه المذكور بثاني، ورماني فيه بسهام المباني، وجعلني هَدَفاً لنبال المعاني.

(١٠)

وهذا نَصُّ ما كَتَبَه:

مولاي قدْ طال المَدَى، وبلغ السَّيل الزُّبى، ووصل بالعظم المُدى، وحانَ الحَيْن، وجاوَزَ الحزام الطُّبْيَين، وكاد يَتَبَدّد شمل التلاقي، ويبلغ الروح إلى التراقي، ممّا نشبت إليّ أيدي مطالكم، ونفدت فيّ نصولِ إمهالكم، وشُكّتْ في القلبِ شبا حدّ إهمالِكم، وظبى سيف إغفالكم، وممّا جرّعني زُعافَ خلافِكم، وأجرضَني[٨١] غصصَ اعتسافِكم، ودافَ لي قواتلَ سمومِكم، وقاسيتُ مِن سيوفِ الجَفا جراحاتِكم وكلومَكم، فالعجلَ العجلَ بالموافاةِ، والمصافاةِ، فليس صبري صبرَ يعقوب، ولا اقتدارَ لي مقاساةِ ضُرِّ أيّوب.

أرى عهدَكُم كالوردِ ليسَ بدائمٍ ولا خيرَ فيمَنْ لا يدومُ بِهِ عهدُ[٨٢]

إلى مَ أنتظر يا مولاي والانتظار موتٌ أحمر؟ وحتّى مَ أصطبر والاصطبار لا يتقدَّم ولا يتأخَّر؟

أرى الحِلمَ في بعضِ المواضعِ ذلّةً وفي بعضِها عزّاً يسوِّد فاعلَه(٨٣)

وأتى لي بصبر ينتهي إلى الأبد، ولا يكون له أمدٌ ولا عددٌ، وكيف أصبر على مواعيد عرقوب، وأعتمد على ظنٍّ مكذوب.

وعدتَ وكانَ الخُلفُ منكَ سجيّةً مواعيدُ عرقوبٍ أخاهُ بيترب(٨٤)

أراك تقدِّم رجلاً وتؤخِّر أُخرى(٨٥)، ورجعتَ عن قولكَ الأصوبِ والأحرى، الذي يوجبُ الأجرَ في العاجلِ، والمثوبةَ في الآجلِ.

فما تدومُ على حالٍ تكونُ به كما تَلوَّنُ في أثوابِها الغُولُ(٨٦)

تتلوّن كلّ يوم كالعروس في النقاش، وتختلف كلّ ساعة كالطاوس(٨٧) في زينة الأرياش، كأنّك فراش مبثوث، أو منمنم منقوش، أو أبو براقش في الألوان، والحِرباء(٨٨) في اللَّمعان، فإنّي أكادُ أنْ أكون مِن شدَّة الانتظار، ومحنة الاصطبار، كرة طبطاب، أو كغنم بين يدي القصّاب، أو حباب على عُباب، أو أوتاد تحت مضراب، وكم أعلّل نفسي بالآمال الكاذبة، والأمواه الناضبة،

فالصَّبرُ أجملُ للفتى(٨٩) ما لم يكن عيٌّ يشينُه(٩٠).

وقالوا: ما أحسن الصَّبر ولكنّه يستغرق الغاية عمر الفتى، كم تطير مِن فنٍّ إلى فنٍّ، وتتدلّى مِن غُصْنٍ إلى غُصْنٍ، وكم تتأخَّر مِنْ يومٍ إلى غدٍ، يدٍ إلى يدٍ، أظنّ أنّ ميعادك أسرع مِن الماءِ في الغِربال، ومِنَ البقّ في السِّربال.

قالُوا ومَا فعلُوا، وأين هُمُ مِنْ معشرٍ فعلُوا وما قالُوا؟

واعلم أنّ نجاح الوعد مطيّة السَّعادة، ومركب السِّيادة، وزمام المودَّة، وذِمام المحبّة، وسراج الأُلفة، وإطفاء الكُلفة، وطليعة الفتوّة، وذريعة المروّة، والخلف لوم يجعل صاحبه غرضاً لنابل، وأكلة لآكل، وفريسة لعاذل، مرتعُه وخيمٌ،

وعذابُه أليمٌ، لا بارد ولا كريم، يلدغ صابه لدغ الأراقم، ويسقي سالكَه ما هو أمرّ مِن ماء[٩١] العلاقم، وفي الأمثال: بئس الرِّدف لا بعدَ نعم.

لا تُتْبِعَنّ (نَعَم) (لَا) طائعاً أبداً[٩٢] فإنّ(لا)أفْسَدَتْ مِنْ بعد لا(نعم)
إنْ قلت يوماً (نعم) بدءاً فتمّ بها فإنّ إمضائها صنفٌ مِنَ الكرمِ[٩٣]

وأيمُ الله، إنّ الرَّجل الحازم لا يبدأ بنعم إلّا أنْ يُتِمّها؛ فإنّ موردَها سهل، ومصدرَها وعر، قريب مبدأها، بعيد مرتقاها، هيّنٌ ظاهرها، صعب باطنها، وهو سلس القياد، ولكن دونه خَرْط القَتَاد.

إذا قلتَ في شيءٍ (نعم) فأتِمّه فإنّ(نعم)دينٌ على المرءِ واجبٌ[٩٤]

ويُعجبني كلمات سَمْرَة بن جُنْدَب حيث أفاد، وأجاد، لأن أقول: للشيء لا أفعله ثمّ يبدو فعله فأفعله أحبّ إليّ مِن أن أقول: أفعله، ثمّ لا أفعله، قال المثقّب:

حَسَنٌ قول (نعم) من بعد (لا) وقبيحٌ قول (لا) بعد (نعم)
إنّ (لا) بعد (نعم) فاحِشَةٌ فبِلا فابدأ إذا خِفتَ النَّدم
وإذا قلتَ (نعم) فاصْبِرْ لها بنَجاحِ الوَعْدِ إنَّ الخُلف ذَم[٩٥]

وأنا ألتمس من مولاي، وأتوَقَّع ممّن بيده غاية رجاي، أنْ لا يُماطِل، ولا يُساهِل، ويُبْدئ الصَّريح من الرَغْوَة، ويُبْرِز العروس مِن الحَجَلة[٩٦]، بلا حياء وخَجَلَة، ويكشف شمس خيالِه من الظلام، وبدرَ فكره من الغمام، وثمرَ ضميره من الأكمام، ويأتي بخاتم الكلام، وآخر المرام؛ فإنّ اليأس إحدى الراحتَيْن، ويرفع الخلاف من البين، فأمّا أن يُنْجِز الميعاد بالإسعاف، والائتلاف[٩٧]، أو يُصرِّح بالخلاف، الذي يُنْبِئ عن الاعتساف، ويا ليت شعري لِمَ وعدني أوّلاً، وخالَفَني آخراً؟ فما عَدا ممّا بَدا؟ وما صَدَر، ممّا بَدَر؟ وما رأى، حتّى ارْعَوَى؟!.

(١١)

فكتبتُ إليه -وإنْ كان جوابُ مثلِه السُّكوتَ لهوانه- ما نصُّه:

أتاني كتابٌ منك ذُو أفانين[٩٨] من القولِ ضعُفَتْ[٩٩] قُواها عن السِلْم[١٠٠]، وأساطير[١٠١] لم يُحكْها[١٠٢] منك علمٌ ولا حِلم[١٠٣]، أصبحتَ منها كالخائض في الدِّهاس[١٠٤]، والخابِطِ في الدِّيماس[١٠٥]، وتَرَقّيتَ إلى مَرْقبة[١٠٦] بعيدة المرام، نازحة الأعلام[١٠٧]، تَقْصر دونها الأَنُوق، ويُحاذَى بها العَيّوق، وكسبْتَ فيه ما تُغَيِّر عليك القِسَم والنِعم، ونسبتَ إليّ ما يَجْلبُ لك السَقَم والنِقَم، وهجوتَني ورَجَوتَ جزيل نِعَمي، وجليل قِسَمي، وعَتبتَ عَليّ ورغِبتَ في أن أُرِيَك أزهار رياضي، وأُرَوِّيكَ مِن نَمير حِياضي، فلا أَصْغيتُ إلى كتابك، ولا رَضيتُ بجوابك، ثمّ عَزّزتَه برسالة مُحبّرة، نَمَّقتَها بأقاويلك، وزَوَّقتَها بأباطيلك، وكتابة مُوَصَّلَة[١٠٨]، جمعتَها من كلّ أَوْب[١٠٩]، والتقطتَها من كلّ شَوْب [١١٠] لم تَدَعني فيها بما يقرِّبكَ إليّ، ويُزلفك لَدَيّ، ويُورِدك من المسائل مَناملها الـمُتْرعَة، ومن الفواضل منازلَها الـمُشْرعَة، بل عَزَوْتَ إلي الخطايا، ورجوتَ أن أُوَفِّر حَظّك من العطايا، أَظنّك حانَ بك الـمَهْلَك، وضاقَ عليك الـمَسلك، أو زَانك الإعجاب، الذي هو ضدّ الصَّواب، وآفةُ الألباب، فكتبتَ كتابَ امرئ نَظّارٍ في عِطْفَيْه[١١١]، مُختالٍ[١١٢] في بُرْدَيه، ليس له حِجىً يَؤُمّه، ولا نُهىً يَزُمّه، قد دَعاه الخيال فأطاعَه، وقادَه الضلال فاختار اتّباعَه، فهَجَر لاغِطاً، وضَلّ خابِطاً.

ألا إنّي وإن كنتُ امرءاً قَيّده دينه، وقَلّده السُّكوتَ يقينُه يُغْضِي على القَذَى، ويَجْرَع ريقَه على الشَجا، ويَصبِر من كظم الغيظ، على أمَرّ من الصَبْر وأحَرّ من

القيظ، لا يُصْغي لِـمَعْتَبَة عاتِب، ولا يُبالي بغضب غاضب، لكن لا تحسَبَنّه سَلِسَ الزمام للقائد ولا وَطِئَ الظَهْر للراكب؛ فإنّ الحليم قد يَصْبو، والمصباح قد يَخْبو، والجواد قد يكبو، فخَفِّضْ أيّ رجل في الطلب، وأجْمِل في المكتسَب، فرُبَّ طلب قد جرّ إلى حَرَب، وإن استفتحتَ أبواب النِعم، أو استمطرتَ شآبيبَ الكرم، فلا يُقْنِطنّك إبطاءُ الإجابة؛ فإنّ العطيّة على قدر النيّة، وربّما أُخِّرَتِ الإجابة، ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل لعطاء الآمِل، ولا تخبطِ العَشواء، ولا تَتَوَرّطِ الظَلْماء، فليس طالبُ العرف مَن خَبَط، أو خَلَط[١١٣]، وله الإمساك عن ذلك أمثلُ وأحوط، والبسْ - كالمتقيّن - للنّاس جلباباً مِن اللين، ولا تُناوِلْ ذَنَبَ الجَرّار، ولا تُحاوِل ذَنْبَ الجَبّار، ولا تَسْتَثِر الليثَ مِن غابه، ولا تَنْتَضِ السيفَ مِن قرابه؛ فإنّي وإن كنتُ أرفعَ مكاناً من مكالمة أمثالك، وأعظمَ شأناً مِن مخاطبة أشكالك، لكنّي أُقسم بالله تعالى لئن لم تَنْزِعْ عن غَيّك لأكتُبَنّ إليك ما يَسُوؤكَ لقيانُه، ويَحْزنُك وجدانُه، ولا يَسُرّك قِرانُه، وتَضجُّ منه إذا عَضَّتْك قوارعُه، ضجيج الجِمال بالأثقال، وسلامُ أهل السلام، فليكن علينا وعليك.

فلمّا وصل إليه الكتاب، وأحاط خبراً بما فيه من الخطاب والعتاب، أسرع إلى الباب، مقبِّلاً للأعتاب، وممرِّغاً وجهه بالتُّراب، نادماً معتذراً، وخاضعاً منكسراً، فرحمتُ عبرتَه وأقلتُ عثرتَه، وأعطيتُه ديوان المتنبّي إنعاماً، وشرحتُ صدرَه بشرحِه إكراماً، ووعدتُه أنْ أضعَ عنه وزرَه، وأشدّ بوفاءِ دينِه أزرَه، فدعا لي بالخير.

(١٢)

وقامَ وأرسلَ إليَّ بعد أيّامٍ كتاباً يتضمَّن مِنَ البلاغةِ أبواباً، وهذا نصُّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

فديتُكَ يا مَن طابَ نفساً ومحتداً ومَن طابَ نفساً فالنُفوسُ له الفِدا

حسنُ الأدبِ، ورعايةُ النَّسَب، يدعوان إلى الصَّبر على المكاره، والتحمُّل على المصائب والمثالب، وهجوم الدِّين، ورجوم العين، يناديان على السّؤال، وإدراك النّوال، وإيجاب العهد وإنجاز الوعد، حبلٌ يجب إمرارُه، ويلزم إبرارُه، وذمّة يتعيّن إخفارها، إنّ العهد على أهل النُهى ذِمم.

فإنّ أحسن الخصال، وأجمل الفعال، وأكرم الشِّيم، وأعود النِّعم، إمضاء العزم، وإجراء الحكم، وإنفاذ الرأي، ومِن جميل أخلاق الحُرّ، دفع الضُرّ وتعجيل البرّ، وقد علمتُ أنّ وعدك الجميل، وعهدك المنيل، أجمل مِن عهد الثريّا بالقمر، وأنجح مِن وعد الغمام بالمطر؛ فإنّه وعدٌ غير مكذوب[١١٤]، وما هو بمواعيد عُرْقُوب[١١٥]، وقد قالوا مثلًا:

إنّ الكريمَ إذا أتاكَ بموعدٍ أعطاكَه سلِساً بغيرِ مِطالِ[١١٦]

فإنّ البحرَ لا ينزف بالاغتراف، والفردوسَ لا ينقص بالاقتطاف، والشَّمسَ لا تظلم بالتلمّع، والمسكَ لا يرخص بالتضوّع، ووعدَ الكرامِ لا يختلف ولا يتخلّف، ومقالةَ الأحرار لا تتغيّر ولا تتصلّف، وجاء في الأمثال: أنجز حُرٌّ ما وعد، وسحّ خالٌ إذا رعد.

أرى كُلَّ ذي دَيْنٍ يُوفّي غَريمَه وعَزّةُ مَمْطُولٌ مُعَنّىً غَريمُها

على أنّ العوارف ديونٌ معتقدة في قلوب الأحرار، ومدّخرةٌ في ضمائر الرجال، موجبةٌ لحيازة الشكر، وحياطة الحمد، اللّذَيْن هما أجلّ فائدة، وأنفس عائدة، وأفضل كسْب، وأحمد ربح؛ فإن أذكرتُك يا سيّدي جميلَ وعدك، وجميل عهدك، مع الثِّقة بإيجابه وإنجاحه، فقدْ ظلمتُ سخاءَكَ، وأنكرتُ عطاءَكَ، وإن أمسكتُ وصبرتُ انتظار الاقتداح زند المعروف، وترقّباً لاقتطاف ثمرة المبذول، دعَتْني حاجتي إلى الإظهار، وبعَثْتني دُيوني إلى الإصرار، وبي الدّاء، وفيك الدواء.

وأعْلَمُ أنّ مراعاتك لأمري تُغْنيني عن إذكارك، وتكفيني مؤنةَ إخطارك؛ فإنّ يدكَ بالجود أطول من لساني، وهمّتك بالبذل أبسطُ من بياني، فإنْ رأيت التفضّل عليّ بالتعجيل، والتطوّل بالتنويل، فذاك ظنّي بك، فخير الخبر ما كان عاجله، وما يقتضيه كرمُ طباعك، وطول باعك، وحسن شِيَمك، وفرط نعمك، وإن عاق عائق دون ذلك، فالأرزاق مقدّرة، والحُظوظ مقرّرة، وليس لسُنّة الله تبديلاً[117]، ولا لقضائه تحويلاً[118]، ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ [إِلَّا هُوَ] وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾[119].

وليسَ الغِنَى والفَقر مِن حِيلةِ الفتى ... ولكن أحاظٍ قُسِّمتْ وجُدودُ[120]

فإنّ الجَدّ ليس بالجِدّ، والغِنى ليس بالـمُنى.

ما ذا أقول إذا سُئلتُ وقيل لي: ... ما ذا أصبتَ من الجوادِ الـمُفْضِلِ
إن قلتُ: أعطاني، كَذِبْتُ وإنْ أقُل: ... بَخِلَ الجوادُ بمـالِه، لم يُقْبَلِ
ولأنتَ أعلمُ بالمكارمِ والعُلا ... مِنْ أنْ أقولَ: فعلتَ ما لم تَفعَلِ
فاخترْ لنفسِكَ ما أقول فإنّني ... لا بُـدّ أُعْـلِـمُـهـم وإنْ لم أُسْـأَلِ[121]

(١٣)

فكتبتُ إليه في الجوابِ هذا الكتاب، الوجيز الخطاب[١٢٢]:

نزل عليّ كالوحي المنزل كتابك العالي اللَّفظ، السَّامي الخطّ، ورفع بنزوله حظّي المنحطّ، وحلّ عندي محلّ صحف مطهّرة، تُؤخذ باليمين عن كرامٍ بررة، وملأ صدري انشراحاً، وأوسع قلبي ارتياحاً، وسُرِرت به سرور مَن أُعطي مُناه، وأُوتي كتابه بيُمناه، ولمّا كان الوعد عندي شريعةً لا أُخِلُّ بأدائها، وفريضةً لا أَضِلّ عن قضائها، جعلتُ مذاقك بإنجازه حُلواً، ومشربك بإنجاحه صفواً، وكيف لا أُنجز الوعد، ولا أفي بالعهد، وأنا الذي كنتُ أتضرّع في ندائي، وأقول في دعائي: اللّهمّ ارزقني حمداً وشكراً؛ فإنّه لا حمد إلّا بفعال، ولا شكر إلّا بمال، فأوفِ بما وافاك ما عليك من الدَيْن، وكن بذلك منشرح القلب قرير العين.

(١٤)

فكَتَبَ في الجوابِ ما لا نظيرَ لهُ في بابِ الشُّكرِ:

المرء مجبول بشكر النِّعم، بعد بثّ الكرم، مفطور بإشاعة المحامد، بعد إذاعة العوائد، ملتزم بإدارة كأس التحميد، وإنارة سرح التمجيد، غبّ اقتطاف ثمرة التنويل، واقتناص شوارد التكرمة والفعل الجميل، متعهّد باقتداح زناد التعظيم، وإعلاء أعلام التكريم، عند احتساء سُلاف العوارف، وارتضاع لبان العواطف؛ فإنّ الإنسان رهن الإحسان، وكلّ حرّ رقّ في جَري هذا الميدان، قال الله تعالى: ﴿وأَمَّا بنعمةِ ربِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١٢٣]، ولا سيّما نعمة صدرت عن كفٍّ سحابيّة

العطاء، غماميّة السَّخاء، معنيّة النّدى، كعبيَّة اللُهى، تخالها بحراً يقذف بالدُّرر، وروض تنبت بالزَّهر، وسيل إذا طمى، وغيث إذا همى، تظنّ أنّها مدرار، يجري منه أنهار وأمطار، تسيل منها عيون وبحار.

وأيمُ الله، إنّ النِّعمة قيد، والشُّكر صيد، والمحمدة للمكرمة عقال، يصدّها عن الزوال، ورباق يمنعها من الآباق، ووتاق يعوقه عن الفراق، والبرّ تجارة والثناء نماؤه، والمعروف زرع والدّعاء جزاؤه، وأحسن الإحسان، أن يقع مواقع الاستحسان، ووصل إلى أرباب الاستحقاق، وأصحاب الإملاق، وبلغ أُولي العلم والتُّقى، وذوي الفضل والنُّهى.

ألا وإنّي على طلاقة لساني، وذلاقة بياني، وطول باعي، واتّساع ذراعي، باللَّفظ الرائق، والكلام الفائق، كلّما أغوص في لُجج مدائحه، لا اَستطيع أنْ اَستخرج درر فضائله، ومهما أجول في حُلية محامده، لا أتمكّن أنْ أحرز قصبات فواضله، مع أنّي لمْ أُبقِ في قوس المقال منزعاً، ولا في كنانة التبيان أهزعاً، فلمْ أجدّد ليلاً، ولمْ أهتدِ إليه سبيلاً، فرجعتُ بخفَّي حُنين، وعدتُ أشأم من ذات النِّحيين[١٢٤].

أما والذي أطلق لسان الخطيب، وأنطق الأديب الأريب، بروائق الكلم، وفوائق الحكم، أنّني أقصِرُ عن ذكر محاسن صفاته، وأتقاعس عن ثناء ذاته، وعدّ جميل أخلاقه، ونشر جليل أعراقه، وإحصاء نوامي سجاياه، واستقصاء عوارفه وعطاياه، فلن أحوم حول حماها، ولم أتمكّن قطف جناها، فدون أدناها خرط القتاد، ومَن رامها رام خطباً صعب القياد، ولكنّ الميسور لا يسقط بالمعسور، وما لا يُدرك كلُّه لا يُترك كلُّه، ومن فاته اللُّؤلؤ الجمان، أتى بالمرجان، ومَن أعوز

التِّبر، قنع بالصّفر، ومَن لم يجد المسك الأذفر، رضيَ بفتيت العودِ والعَنبر، ولولا ذلك، ما اخضرّ للشُّكر عود، ولا قام للحمد عمود، وكلّ امرئ بما كسب رهين، ومَن لم يشكر النّاس لم يشكر الله تعالى[١٢٥].

(١٥)

ومِن كتابٍ له إلينا أرسله مِنَ البصرة يستعيد وديعتَه:

سلامٌ على مولى الموالي وشهمهم

وخير كريمٍ مِن نِجَار الأكارمِ

على الماجدِ البهلولِ ذي الباعِ والنَّدى

ربيعِ بني الحاجاتِ نجلِ الأفاخمِ

المعروض، بعد أداء المفروض، وغبّ الثناء الجميل، والدّعاء النبيل، أنّ محبّكم المشوق، وداعيكم المدقوق، قد اعترته تباريح الأشواق، وأصابته لواعج الأتواق، من داء الفراق، وشدّة الاشتياق، فالشوق غالب، والصّبر مغلوب، والقلب مغرم، والصّبابة متحكّمة، والسّلوة متعذّرة، والصدر واغر، والفؤاد حائر بائر، وكيف باللِّقاء الذي هو شِفاء مِن كلّ داء، والاجتماع الذي فيه البُرْء مِن هذه البرحاء، وهل له أمد مقترب، أم فيه أَمَلٌ مرتقب، أم ليس إلّا الأسف الذي يضني الجسد، واللّهف الذي يشفّ الجَلَد، ويضاعف الكمد، ويحرق الكبد، ويدنف الخَلَد، والهمّ الذي يذري ماء الجفون، ويفرق بين الرقاد والعيون، ويذهب بالرقاد، ويجلب السُّهاد، ويوجب الأرق، وتنغيص العيش

والحنق، وهجوم جيش الهموم، وتبييت عساكر الغموم.

وبعدُ، فأترجَّى من حضرتك السَّامية، التي هي شريعة القلوب الظامية، ترسلوا إليّ أجزاء المنشئات التي أودعتكموها حين حان البعاد، من رسائل القابوس وصاحب ابن عَبّاد، وأنْ لا تتمسّكوا بالعُذر، فإنّها نزهة خاطري في السَّفر، وقرّة ناظري في الحضر، والسَّلام.

(١٦)

فكتبتُ إليه في الجوابِ هذا الكتاب البليغ الخطاب:

سلامٌ كعرفِ المسكِ فاشٍ[١٢٦] وناشُر

وكالرَّوضِ بالأشواقِ زاهٍ وزاهرُ

على غائبٍ عنّي وفي القلبِ حاضرٌ

ألَا فاعْجبوا مِنْ غائبٍ وهوَ حاضِرُ

المعروض، غبّ الدّعاء المفروض، عقيب السّنن والفروض، علّة الجوهر الفرد، ومن تَضَمَّخ بطيب أنفاسه عارضُ[١٢٧] الورد، قمر فلك الإبداع، وشمس المعالي المستطيل الشعاع، أنّه قد وصل كتابك الذي هو لحلّة الفصاحة طراز، وإلى حقيقة البلاغة مجاز، إليّ، وقشَعَ بنسائم معانيه مُزْنَ[١٢٨] الحُزْن عَنّي وانهلَّ من جواهر مبانيه عوارضُ[١٢٩] الحسن عَلّي، فيا له من كتابٍ حكى ألحانَ إسحاق، فهَيَّج منّي الأشواقَ، وشكَى عن أحزان الفراق، فأجّج نيرانَ الأتواق، فوَ المؤمن العائذاتُ [من] الطير[١٣٠]، لو أعارني جناحَه لاخْترتُ الطيرانَ إليه

على السَيْر، لكن ما الحيلة، ليس لي إلى ذلك وسيلة، فكأنّا خُلِقْنا للنوَى[١٣١]، ولا يُدْرِك المرء كلَّ ما نَوَى، فنسأل الله على مَرّ العشيّ وكَرّ الآصال، أن يُبَدِّل ليالي الفراق بأيّام الوصال.

وأمّا الكراريسُ، التي لا تقاس بأجنحة الطواويس، والأجزاء، التي فاقت الجوزاء، فقد أرسلتُها إليك، أسبل الله ظلّ كرامته عليك، بعد ما اقتبستُ منها نوراً، وارتشفتُ منها شراباً طهوراً، فللّه دَرّهما من مُترسِّلَيْن أجادا وأفادا، ومَلَكا من النظم والنثر قياداً، والسَّلام.

وأمّا مراسلاته الفارسيّة فاثنتان، وهما:

(١٧)

رقعه ای است که به یکی از اعیان بصره نوشته است:

به عرض می رساند نامه محبت علّامه، که به خامِه مودّت ختامه، نگاشته وارسال داشته واصل، وچون حاکی از ابتهاج مزاج وهّاج است، کمال بهجت حاصل شد.

گِله نموده بودید که دو سه ماه است مراسله داعی به آن مطاعی نرسیده. چه کنم غمی در دل نهفته دارم، ودلی از هم آشفته، هر چه پریشان سازمش مجموع‌تر گردد وچندان که پنهان دارمش، ظاهرتر شود.

آتش اندر پنبه پنهان چون شود

هر چه افزون پوشیش، افزون شود

وبه واسطه این غم وهمّ، هم ترک محافل نموده‌ام وهم ترک نوافل، چه جای تحریر رسائل، وتقریر مسائل.

وفي رواية عليّ بن أسباط عن عدّة منّا: «إنّ الكاظم عليه السلام إذا اهتمّ ترك النّافلة»(١٣٢).

وعن مُعمَّر بن خَلّاد، عن الرِّضا عليه السلام مثلها: «إذا اغتمّ»(١٣٣).

وفي القوانينِ(١٣٤) والذِّكرى(١٣٥) تذكرةٌ لَمن ينتفعُ بالذِّكرى.

ما ترجمتُهُ:

كتبَه إلى أحدِ أعلامِ البصرة.

معروضٌ عليك، أن وصل كتاب محبّة العلّامة، وهو بقلم مودّته اختتمه، وكتابه حاكٍ عن ابتهاج مزاجه الوهّاج، وحصل منه لي كمال البهجة.

شكوتَ مِن أنّه ما وصلت إلى جنابك مراسلة مِن هذا الداعي خلال فترة طويلة، وأنا ماذا عساي أنْ أقول في مقام الاعتذار حيث ضميري منغمر بالغموم، وقلبي منكسر بالهموم، كلّما أفارقها تعود، وحيثما أضمرها تظهر.

آتش اندر پنبه پنهان چون شود هر چه افزون پوشيش، افزون شود

وبسبب هذا الغمّ والهمّ تركت الحضور في المحافل، وأمسكت النفس عن الإتيان بالنوافل، فضلاً عن [أنْ] أحرِّر الرَّسائل، وأقرِّر المسائل.

وفي رواية عليّ بن أسباط عن عدّةٍ منّا: «إنَّ الكاظمَ عليه السلام إذا اهتمَّ، تركَ النَّافلة».

وعن مُعمَّر بن خَلّاد، عن الرِّضا عليه السلام مثلها: «إذا اغتمَّ».

وفي القوانينِ والذِّكرى تذكرةٌ لَمن ينتفعُ بالذِّكرى.

(١٨)

به عبَّاس قُلي خان كار پرداز بصره نوشته شد:

به عرض ميرساند، از سالى كه موكب هُمايون به زيارت عتبات ملائک مطاف مُشرّف شده، از ملاقات ومقالات سر كار مأيوس، وتخم موالات در دل مغروس، در اين مدت از ناله وزارى به درگاه بارى آبيارى كه شايد به قرب

جواری بهره‌مند شوم که بشارت قدوم سر کار را به بصره شنیدم.

امید است که ورود میمنت مورود بر کافّه‌ی رعایا میمون، وبه سلامت واستقامت مقرون، از توجّهات ونگاهبانی شدائد واهوال زائل، وپریشانی احوال به اعتدال آیل آید؛ پژمردگی ودلمردگی رعایا مرفوع، وافسردگی وآزردگی برایا مدفوع، ودشمنان مقهور ومقموع، بالملازمة باعث دعاگویی روحانیان وسعادت طینتان شده، منشأ نیکنامی دنیا ورستگاری عقبی بود.

اگر چه در عراق بصره، ودر حجاز خیبر، ودر ایران گیلان، مشهور به تب، وروز غریب در هر سه چون شب است، ولی إن شاء الله از ادعیّه‌ی طرفي النهار، محبّت شعار، در جوار حضرت جوادین وحرم محترم کاظمین ÷ از تب محفوظ، وروز وشب محظوظ، به عینات رب ملحوظ خواهند بود.

ما ترجمتُهُ:

كتبَ إلى عبّاس قُلي خان قنصول البصرة:

معروضٌ عليكم، في السّنة التي تشرّفتم وموكبكم إلى العتبات العاليات التي هي مطاف الملائكة، ألقيت حبل المراودة والملاقاة على عاتقها، وغرست بذر المودّة في قلبي، وأخذت بالبكاء والنحيب لربّ العالمين من التقصير طالباً الزلفى في جواره، وحينما أنا مشغول بأحوالي؛ إذ بُشِّرتُ بقدومكم إلى البصرة.

أرجو أنْ تكونَ زيارتكم للجميع ميمونة، وبالسَّلامة والاستقامة مقرونة، ومِنَ الشَّدائد والهول مصونة، وتكدُّر أحوالكم إلى الفرح متبدِّلة حتّى تصبح قلوب رعيّتكم بعد يأسها مرجوَّة، وثقل الملل والكدر عن البرايا بقدومكم مدفوعة، وأعدائكم مقمعة مقهورة مزفوفة بدعوى السُّعداء والرُّوحانيّين،

تُفلح بها في الدّنيا بتحسينكم وشكركم، وفي الأخرى بحُسنِ عاقبتكم.

وإنْ شاعَ المرض والسُّخونة في بصرة العراق وخيبر الحجاز وجيلان إيران، حتّى أظلمَ نهارُها، إلّا أنّي لستُ بغافلٍ عن الدُّعاء لكم طرفي اللَّيل والنّهار في جوار الجوادين والكاظمين عليهم السلام، فيحرسكم بعينه التي لا تنام، ويحفظكم من كلّ سوء -لا سيّما السّخونة- ما قامَ اللَّيل والنّهار.

الهوامشُ

١- الذريعة: ٥/ ١٣٨؛ و١١/ ٢٥.

٢- عجائب الأسرار: ص١.

٣- معجم المؤلِّفين: ١٠/ ٢٦٨.

٤- الذريعة إلى تصانيف الشِّيعة: ١٧/ ٣٣ ٣٤، الرقم: ١٨٤.

٥- هو جعفر ابن الحاجّ أبي القاسم الواعظ الشِّيرازيّ الجهرميّ، الحائريّ المسكن، الشّهير بميرزا آقا، ونقش خاتمه: (المذنب آقا)، من مؤلَّفاته: قبسات الأحزان وجمرات الأشجان، فرغ منه في ثالث رجب في ١٢٧٥هـ.

٦- في هامش (أ): «لب ريز». أي: غَلَتْ حتّى يعلو ما فيها فيفيض. جمهرة اللُّغة: ٢/ ٧٨٨.

٧- إلى هنا ورد في (أ).

٨- أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين: ص٢٣٩ - ٢٤٠.

٩- أعيان الشِّيعة: ١٠/ ٢٠١.

١٠- أدب الطف: ٨/ ٢٥١ - ٢٥٥.

١١- منتظم الدُّرَّين في أعيان الأحساء والقطيف والبحرين: ٣/ ٣٣٧.

١٢- دُفن في إحدى غرف السّاباط في الصّحن الحيدريّ الشّريف، وهي حجرة السَّيّد محمّد خليفة.

١٣- الذَّريعة إلى تصانيف الشِّيعة: ٣/ ٢٨٩.

١٤- لم أجد ترجمة له في الكتب.

١٥- يُنظر: أعيان الشِّيعة: ٥/ ٩٣.

١٦- البيت لأبي يزيد طيفور بن عيسى البسطاميّ. روي أنّ يحيى بن معاذ الرازيّ كتب إلى [أبو] يزيد: أنّي سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبّته. فكتب إليه أبو يزيد: غيرك

شرب بحور السموات والأرض وما روي بعد، ولسانه خارج، وهو يقول: هل من مزيد؟ وأنشد:

عجبت لمن يقول: ذكرت ربّي ... وهل أنسى فأذكر من نسيت؟
شربت الحبّ، كأساً بعد كأس ... فما نفد الشراب، وما رويت

طبقات الأولياء: ١/ ٤٠٢.

١٧- في هامش (أ): «حاتِم الطائيّ بكسر التاء، وخاتم به وبالفتح».

١٨- في هامش (أ، ب): «قال الجاحظ في البيان [٢/ ١٣]: كان الشاعر من العرب يمكث في القصيدة الحول ويسمّون تلك القصائد الحَوْليّات والمنقّحات والمحكمات ليصبر قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مفلقاً. قال: والشعراء عندهم أربع طبقات: أوّلهم: الفحل الخنذيذ، وهو التامّ، ودونه الشاعر المفلق، ودونه الشاعر فقط، ودونه الشعرور، وقيل: طبقات الشعراء ثلاثة، شاعر، وشويعر، وشعرور». (منه)

١٩- في هامش (ب): «وفي حياة الحيوان [١/ ١٥٠] في لفظ الإوَزّ عند القول في الخلفاء، وأنّ كلّ سادس مخلوعاً:

إنّ الحسين بن محمّد بن أحمد بن عبد الله القدّاح ابن ميمون بن محمّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام قدم إلى سَلْمِيَة، قبل وفاته، وكان له بها ودائع وأموال، من ودائع جدّه عبد الله القدّاح، فاتّفق أنّه جرى بحضرته ذكر النساء، فوصفوا له امرأة يهوديّ حدّاد، مات عنها زوجها، وهي في غاية الحسن والجمال، وله منها ولد يماثلها في الجمال، فتزوّجها وأحبّها وحسن موضعها منه، وأحبّ ولدها فعلّمه فتعلّم العلم، وصارت له نفس عظيمة وهمّة كبيرة، وكان الحسين يدّعي أنّه الوصيّ، وصاحب الأمر، والدعاة باليمن والمغرب يكاتبونه ويراسلونه، ولم يكن له ولد، فعهد إلى ابن اليهوديّ الحدّاد، وهو عبيد الله المهديّ أوّل من ملك من العبيديّين. ونسبهم إليه، وعرفه أسرار الدعوة من قول وفعل وأمر الدّعاة، وأعطاه الأموال والعلامات، وأمر أصحابه بطاعته وخدمته، وقال: إنّه الإمام والوصيّ، وزوّجه بابنة عمّه، فوضع حينئذٍ المهديّ لنفسه نسباً: وهو عبيد الله بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن موسى ابن جعفر الصّادق عليه السلام».

٢٠- في هامش (أ): «القوافي». (بدل)

٢١- في هامش (أ): «أي كثيرها». تهذيب اللُّغة: ١٥/ ١٨٠.

٢٢- في هامش (أ): «غَمْر الرداء، أي: كثير المعروف واسعه». تهذيب اللّغة: ٨/ ١٢٦.

٢٣- في هامش (أ): «بالضمّ السيّد الشجاع». المحيط في اللّغة: ٢/ ٣١٥.

٢٤- في هامش (أ): «رجل سَبْط اليدَيْن، أي: سخيّ». المحكم والمحيط الأعظم: ٨/ ٤٣٩.

٢٥- في هامش (أ): «جعل المشبّه به شمس للأصائل على حدّ قوله: والشمس رادّ الضحى كالشمس في الطَفَل، وهو بالتحريك بعد العصر».

٢٦- في هامش (أ): «السَيْب: العطاء والعُرْف». المحكم والمحيط الأعظم: ٨/ ٥٨٧.

٢٧- في هامش (أ): «جمع الرَبْوَة، هي المكان المرتفع». شمس العلوم: ٤/ ٢٣٧٢.

٢٨- في هامش (أ): «مجّ الماء من فيه: رمى به. والعُباب: معظم السَيْل». المغرب: ٢/ ٢٥٨، تهذيب اللغة ١: ٨٧.

٢٩- في هامش (أ): «هو المطر». قال الأزهريّ: قيل للمَطر الشديد الضَخم القَطر، الغليظ العظيم: الوابل. تهذيب اللُّغة: ١٥/ ٢٧٨.

٣٠- في هامش (أ): «المنهل: المشرب». المحكم والمحيط الأعظم: ٤/ ٣١٩.

٣١- في هامش (أ): «هي العِيّ». الصّحاح: ٦/ ٢٢٤٥.

٣٢- في هامش (أ): «العذر - بالضمّ -: افتضاض الجارية. ومُفتَضّها: أبو عُذْرها». القاموس المحيط: ٢/ ١٦٢.

٣٣- في هامش (أ): «هَنَّدَ السيفَ: شَحَذَه، أي أَحَدّه». المحكم والمحيط الأعظم: ٤/ ٢٦٣.

٣٤- في هامش (أ): «قَناً ذابِلٌ: دقيق لاصِقُ اللِيْط». المحكم والمحيط الأعظم: ١٠/ ٧٢.

٣٥- في هامش (أ): «جمع الخَميلة، وهي الأرض المكرِمة للنَبات». تاج العروس: ١/ ٧٤.

٣٦- في هامش (أ): «المحبوس». شمس العلوم: ٧/ ٤٧٩٨.

٣٧- في هامش (أ): «الخَبَب: السرعة، وخَبَّ في الأمر من باب طلب: أسرع، [المصباح المنير: ٢/ ١٦٢].

والوَخْد للبعير: الإسراع، القاموس المحيط: [ص١: ٤٧٧]».

٣٨- في هامش (أ): «قوله: (إشراق الذكاء) غلط، قال الجوهريّ: ذُكاء - بالضمّ -: غير مصروف، اسمٌ للشمس معرفة لا تدخله الألف واللام». الصّحاح: ٦/ ٢٣٤٦.

٣٩- في هامش (أ): «عظام الأُمور». القاموس المحيط: ٣/ ٥٨٨.

٤٠- في هامش (أ): «الخَصِيْب». جمهرة اللّغة: ٢/ ٧٧٣.

٤١- في هامش (أ): «المَحْل: الجَدْب، وانقطاع المطر، وزمانٌ ومكانٌ ماحِل، القاموس المحيط: [٣/ ٦١٤]».

٤٢- في هامش (أ): «يقال: سَحّ الماء سَحّاً من باب قتل: إذا سال من فوق إلى أسفل. واللُهى جمع اللُهوَة، وهي العطيّة أو أفضل العطايا وأجْزَلها، القاموس المحيط: [٤/ ٤٤٥]».

٤٣- في هامش (أ): «الدِيْمة: مطرٌ يدوم، القاموس المحيط: [٤/ ٦٣]».

٤٤- في هامش (أ): «أشجاه: فَهَرَه وغلبه، وأوقعه في حزن، القاموس المحيط: [٤/ ٣٨٦]».

٤٥- في هامش (أ): «جمع المِرْجل - كمِنبَر-، وهو القِدْرُ من الحجارة». المحكم والمحيط الأعظم: ٧/ ٣٨٤.

٤٦- في هامش (أ): «جمع الغِطْريف، وهو السيّد الشريف والسخيّ، القاموس المحيط: [٣/ ٢٤٤]».

٤٧- في هامش (أ): «سَراة: جمع السَريّ، وهو جمعٌ عزيزٌ أن يجمع فعيل على فَعَلَة، ولا يُعْرف غيره، الصّحاح: [٦/ ٢٣٧٥]».

٤٨- في هامش (أ): «هو الأصل». جمهرة اللغة ١: ٣٨٥.

٤٩- في هامش (أ): «النزال - بالكسر -: أن يَنزِلَ الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا، القاموس المحيط: [٣/ ٦٢٤]».

٥٠- في هامش (أ): «الحقّ والحُرمة». المحكم والمحيط الأعظم: ١٠/ ٥٨.

٥١- في هامش (أ): «منزل». تهذيب اللُّغة: ٨/ ١٧٥.

٥٢- في هامش (أ): «العافي: كلّ طالب فضل أو رزقٍ، كالمُعْتَفي، [القاموس المحيط: ٤/ ٤١١].

والمُجْتَدِي: طالب الجدوى، أي العطيّة، [القاموس المحيط: ٤/ ٣٣٦]».

٥٣- في هامش (أ): «أي يخرق».

٥٤- في هامش (أ): «جمع الغادية، وهي السَّحابة تَنْشَأ غُدْوةً، القاموس المحيط: [٤/ ٤١٧]».

٥٥- في هامش (أ): «الفرس: مشتقٌّ من الافتراس؛ لأنّها تفترس الأرض بسرعة مشيها، وراكب الفرس فارسٌ، [مجمع البحرين: ٤/ ٩٢]». (منه)

٥٦- في هامش (أ): «جمع النَصْل، وهو حديدة السهم». القاموس المحيط: ٣:/ ٦٢٥.

٥٧- . البيت معنىً وجملة من ألفاظه للمتنبِّي، قال:

وإنِّي وإن كنتُ الأخيرَ زمانه لآتٍ بمَا لم تستطعْه الأوائلُ

٥٨- في هامش (أ): «سيف». قال ابن دريد: سيفٌ عَضْبٌ، إذا كان صارماً؛ وكذلك لسانٌ عَضْبٌ، إذا كان خطيباً بليغاً. جمهرة اللُّغة: ١/ ٣٥٤.

٥٩- في هامش (أ): «أَمْرَرْتُ الحبلَ: فَتَلْتَه فَتْلًا شديداً، الصِّحاح: [٢/ ٨١٥]».

٦٠- في هامش (أ): «الخالُ: سحاب لا يخْلِف مطرَه، القاموس المحيط: [٣/ ٥١٠]».

٦١- سورة البقرة: ١٧٧.

٦٢- ديوان الإمام عليّ عليه السلام: ص١٣٤.

٦٣- في هامش (أ): «البرق: الخُلّب الذي لا غيث فيه كأنّه خادع، الصِّحاح: [١/ ١٢٢]».

٦٤- في هامش (أ): «نضب الماءُ: غار وذهب في الأرض». يُنظر: جمهرة اللّغة: ٢/ ١٠٦٧.

٦٥- في هامش (أ): «بعيد». تهذيب اللّغة: ٢/ ٨٨.

٦٦- في هامش (أ): «غايته». لسان العرب: ١٥/ ١٤٣.

٦٧- في هامش (أ): «دراهم زيف: رديء». المغرب: ١/ ٣٧٧.

٦٨- في هامش (أ): «جمع الوَغْد، وهو الرَذْل الدني». المصباح المنير: ٢/ ٦٦٦.

٦٩- في هامش (أ): «جمع البُهْلول، الجامع لكلّ خير، وهو السَّيّد». المحكم والمحيط الأعظم: ٤/ ٣٢٧.

٧٠- في هامش (أ): «أي حقّه وحرمته». المحكم والمحيط الأعظم: ١٠/ ٥٨.

٧١- في هامش (أ): «أرْخَى». جمهرة اللُّغة: ٢/ ٦٤٧.

٧٢- في هامش (أ): «ككتاب: ما يلزمك حفظه وحمايته». القاموس المحيط: ٢/ ٩٥.

٧٣- في هامش (أ): «رجع». الصِّحاح: ٣/ ١٠٦٠.

٧٤- في هامش (أ): «سَفَّ الدواء سفوفاً: قَمَحَه». جمهرة اللُّغة: ١/ ١٣٤.

٧٥- في هامش (أ): «حَرَمَه الشيء وأحرمه: منعه». المحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ٣٢٩.

٧٦- في هامش (أ): «عِذار الدابّة الذي على وجهها من اللجام، كما أنّ عِذار الرجل

شعره النابت في موضع العِذار، ويقال: العذار للرَسَن أيضاً، [لسان العرب: ٤/ ٥٥٠].

والخلع: هو العزل، [الصّحاح: ٣/ ١٢٠٥].

والطلاق: أي هو مطلق العنان في التغافل، قال في الصِّحاح: [٢/ ٧٣٩]: ويقال للمُنْهمك في الغَيّ: خَلَعَ عِذارَه، مجمع البحرين: [٣/ ٣٩٨]».

٧٧- في هامش (أ): «أي التغافل». شمس العلوم: ٨:/ ٤٩٠٤.

٧٨- في هامش (أ): «مصدر عاهده».

٧٩- في هامش (أ): «المِكواة». تهذيب اللُّغة: ١٣/ ٧٧.

٨٠- في هامش (أ): «إمّا بالكسر وهو ما يتطاير من النّار، أو بالفتح وهو مصدر شَّر من الشّر: نقيض الخير، [الصِّحاح: ٢/ ٦٩٥]». (منه)

٨١- يقال جَرَضَ بِريقِه يُجرِضُ مثال كَسَر يَكْسِر، وهو أَن يَبْتَلِعَ رِيقَه على همٍّ وحُزْنٍ بالجَهْد. الصحاح: الجوهريّ مادّة (جرض).

٨٢- البيت لأبي عيينة المهلبيّ. يُنظر: اللّطف واللّطائف: ١/ ١٧.

٨٣- البيت للخريميّ. يُنظر: شرح ديوان المتنبّيّ (للواحديّ): ١/ ٣٧.

٨٤- البيت للأشجعيّ. يُنظر: مجمع الأمثال: ٢/ ٢٦٨. وليُنظر: معجم ما استعجم، للبكريّ.

٨٥- يضرب عند التردّد في الأمر. زهر الأكم في الأمثال والحكم: ٣/ ٣٤.

٨٦- البيت لكعب بن زهير. يُنظر: المصون في الأدب: ص٢٠٢.

٨٧- في هامش (ب): «الطاوس: طائر معروف، تصغيره: طُوَيْس بعد حذف الزوائد، قال في وصفه:

سبحان مَنْ مِنْ خَلْقِه الطاوس	**طير على أشكاله رئيس**
كـأنّـه في نـقـشه عـــروس	**في الريش منه ركَّبت فلوس**
تُشْرِق في داراتِه شـمـوسٌ	**في الرأس منه شجر مغروس**
كـأنـه بـنـفـسَجٌ يَـمِـيـسُ	**[أو هو زهـر حرم يبيس]».**

حياة الحيوان الكبرى: ٢/ ١٢١ - ١٢٢.

٨٨- في هامش (ب): «الحرباء: دويبة تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت وتتلوّن بحرّ الشمس ألواناً مختلفة حمرة وصفرة وخضرة وما شاءت عيناها تدور إلى كلّ جهة من الجهات». حياة الحيوان الكبرى: ١/ ٣٢٩.

٨٩- في هامش (ب): «**لئن كان بدء الصّبر مرّاً مذاقه فقدْ يُجتَنى مِن بعدِهِ الحُلوُ**».
البيت لمحمود بن سلمان بن فهد الحلبيّ (ت٧٢٥هـ). فوات الوفيات: ٢/ ٤٧٦.
٩٠- بيت شعر، منسوب إلى محرز بن علقمة.
٩١- من قوله: «ويبلغ الروح إلى التّراقي» إلى هنا لم يرد في (أ).
٩٢- في هامش (أ): «أي جاء لكونك مطيعاً لِـ(لا)».
٩٣- أنشده ابن الأعرابي. مجمع الأمثال: ١/ ١٠٣.
٩٤- البيت لأحمد بن يوسف. يُنظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٥/ ٤٦.
٩٥- الأبيات للمثقّب العبديّ. الحماسة البصريّة: ٢/ ١٥.
٩٦- في هامش (أ): «موضع يُزيّن بالثياب والسُتور للعروس، القاموس المحيط: [٣/ ٤٨٦]».
٩٧- في هامش (أ): «أسعف حاجته، أي: قضاها». الصّحاح: ٤/ ١٣٧٤.
٩٨- في هامش (أ): «الأفانين: الأساليب المختلفة». الصّحاح: ٦/ ٢١٧٧.
٩٩- في هامش (أ): «ليس ما تضمّنها كتابك من القوّة ما يقتضي إلاّ يكون قائله مسلمًا».
١٠٠- في هامش (أ): «أي: لم تصدر تلك الأفانين عن مسلم، قال أبو عمرو: ليس المعنى بقوله وادخلوا في السلم كافّة الصلح، بل الإسلام لا غير». (منه)
١٠١- في هامش (أ): «واحدة الأُسطورة، أي: الأباطيل». تهذيب اللُّغة: ١٢/ ٢٣٠.
وفي هامش آخر: «ما صدر هذا الكلام الفاسد عن عالم ولاعاقل».
١٠٢- في هامش (أ): «حوك الكلام: صوغه ونظمه».
١٠٣- في هامش (أ): «عقل».
١٠٤- في هامش (أ، ب): «الدِّهاس بكسر الدال ـ: جمع داهس، وبفتحها مفرد، وهو المكان الذي لا يبلغ أن يكون رملًا، وليس هو بتراب ولا طين». تهذيب اللُّغة: ٦/ ٧٣.
١٠٥- في هامش (أ، ب): «الدِّيماس: الحفير المظلم تحت الأرض، [يُنظر: تهذيب اللُّغة: ١٢/ ٢٦٤]، أي: أنت في كتابك كالخائض في تلك الأرض الرخوة يقوم ويقع ولا يتخلّص، وكالخابط في اللّيل المظلم يعثر وينهض ولا يهتدي الطريق».
١٠٦- في هامش (أ، ب): «المرقبة: الموضع العالي». يُنظر: الصِّحاح: ١/ ١٣٧.

١٠٧- في هامش (أ، ب): «الأعلام جمع علم، وهو ما يهتدي به في الطرقات من المنار، أي: طلبت ما لا تناله يدك وببعد على من يطلبه وليس فيه أعلام تهدي إلى سلوك طريقها». (منه)

١٠٨- في هامش (أ، ب): «مُوَصَّلة، أي: جمعتها من كلام النّاس».

١٠٩- في هامش (أ، ب): «ناحية». جمهرة اللُّغة: ١/ ٢٢٩.

١١٠- في هامش (أ، ب): «خلط». المحيط في اللُّغة: ٧/ ٣٩٤.

١١١- في هامش (أ): «أي: جانبيه ينظر تارةً هكذا، وتارةً هكذا، ينظر لنفسه ويستحسن هيأته ولبسته وينظر هل عنده نقص في ذلك أوعيب؟ فيستدرك بإزالته كما يفعل أرباب الزهو من يدعي لنفسه الحسن والملاحة». (منه) الغارات: ٢/ ٨٩٨.

١١٢- في هامش (أ): «يمشي الخُيَلاء». أساس البلاغة: ص١٨٠.

١١٣- أصلها كلمة لأمير المؤمنين عليه السّلام: ليس طالبُ الدِّين مَن خلطَ، أو خبطَ.

١١٤- اقتباس من قوله تعالى: ﴿ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾. سورة هود: ٦٥.

١١٥- قال الأزهريّ: أبو عبيد عن ابن الكلبيّ: من أمثالهم في خُلْف الوعد: مواعيد عرقوب. قال: وسمعت أبي يخبر بحديثه: أنّه كان رجلاً من العمالِيق يقال له: عرقوب، فأتاه أخ له يسأله شيئاً، فقال له عرقوب: إذا أطلعت النخلة فلك طَلْعها. فلمّا أطلعت أتاه للعِدَة فقال له: دعها حتّى تصير بَلَحاً، فلمّا أبلحت قال: دعها حتّى تصير زَهْواً، ثمّ حتّى تصير رُطَباً ثمّ تَمْراً، فلمّا أَتْمَرت عَمَد إليها عرقوب من الليل فجدَّها ولم يعط أخاه منه شيئاً. فصار مثلاً في الخُلْف. وفيه يقول الأشجعيّ:

وَعَدْتَ وكانَ الخُلْفُ منكَ سَجِيَّة ... مواعيدَ عُرقوبٍ أخاه بيَثْرَبِ

تهذيب اللُّغة: ٣/ ١٨٦.

١١٦- ديوان الإمام عليّ عليه السلام: ص١٣٤.

١١٧- اقتباس من قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْديلًا﴾. سورة الفتح: ٢٣.

١١٨- اقتباس من قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْويلًا﴾. سورة الإسراء: ٧٧.

١١٩- سورة يونس: ١٠٧.

١٢٠- البيت للمعلوط السّعديّ. جمهرة الأمثال: ٢/ ٢٨٠.

١٢١- الأبيات لدعبل الخزاعيّ. ديوانه: ١٥٤، باختلافٍ كثير.

١٢٢- في (ب): «فكتبت إليه في الجواب هذه الغُرر، وأرسلتُ إليه ما يَكفيه في السّفر».

١٢٣- . من سورة الضحى: الآية (١١).

١٢٤- في الأصل هو مثلٌ، عبارته: (أشغلُ من ذات النِّحيين)، ولتفصيله، فليرُاجع مجمع الأمثال للميدانيّ، وهو في امراة من بني تيم ابن ثعلبة، تبيع السَّمن، ساورها خوَّات بن جبير الأنصاريّ، فشغل كلتا يديها بالنِّحي، وقضى مأربه، وهرب.

١٢٥- من قوله: «فكَتَبَ في الجواب ما لا نظير له في باب الشّكر» إلى هنا لم يرد في (أ).

١٢٦- في هامش (أ): «ناشٍ».

١٢٧- في هامش (أ): «العارض من الوجه ما يبدو عند الضحك». القاموس المحيط: ٢/ ٥١١.

وفي هامش (أ، ب): «رخسار».

١٢٨- في هامش (أ): «ابر». أي: السّحاب، المحيط في اللُّغة: ٩/ ٦٩.

١٢٩- في هامش (أ): «جمع عارض، وهو الغمام». جمهرة اللُّغة: ٢/ ٧٤٨.

١٣٠- في هامش (أ، ب):

«والمؤمن العائذات الطير يمسحُها ركبانُ مكّة [بين الغيل والسّند]

المؤمن اسم الله تعالى والطير بدل من العائذات، أي: العائذات بالبيت، وضمير (أعارني) يرجع إلى الطير». (منه)

البيت للنابغة الذبيانيّ، يُنظر: خزانة الأدب: ٥/ ٧١.

١٣١- في الهامش: «مقتطف من قوله:

كأنّا خلقنا للنَّوى وكأنّما حرامٌ على الأيّام أنْ نتجمَّعا».

١٣٢- الكافي: ٣/ ٤٥٤/ باب تقديم النوافل وتأخيرها وقضائها وصلاة الضحى، ح١٥.

١٣٣- تهذيب الأحكام: ٢/ ١١/ باب المسنون من الصّلوات، ح ٢٣.

١٣٤- القوانين المحكمة: ١/ ٢٣٥.

١٣٥- ذكرى الشِّيعة في أحكام الشَّريعة: ٢/ ٣١٣.

المصادرُ والمراجعُ

- القرآنُ الكريمُ.

أوّلاً: المخطوطات.

١- عجائب الأسرار: الهمذانيّ، محمّد بن عبد الوهّاب (ت ١٣٠٥هـ)، محفوظة في مكتبة الإمام الحكيم العامّة، الرقم: (٧٥٦).

ثانياً: الكتب المطبوعة.

(أ)

٢- أدبُ الطفِّ: الشبّر، السَّيّد جواد (ت ١٤١٠هـ)، نشر: دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣- أساس البلاغة: الزمخشريّ، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، نشر: دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

٤- أعيان الشِّيعة: الأمين، السَّيّد محسن بن عبد الكريم، العامليّ (ت١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، نشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (د.ت).

٥- أنوار البدرين: البحرانيّ، عليّ بن حسن (ت ١٣٤٠هـ)، تصحيح: الطبسيّ، محمّد عليّ ابن محمّد رضا، نشر: مكتبة آية السَّيّد المرعشيّ، قم المقدّسة، ط ١، ١٤٠٧هـ.

(ب)

٦- البيان والتبيين: الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، نشر: دار صعب، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.

(ت)

٧- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيديّ، السّيّد محمّد مرتضى الحسينيّ (١٢٠٥هـ)، تحقيق: عليّ شيريّ، نشر: دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.

٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبيّ، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السّلام التدمريّ، نشر: دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.

٩- تهذيب الأحكام: شيخ الطائفة، أبو جعفر، محمّد بن الحسن الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: الخرسان، السَّيّد حسن الموسويّ، نشر: دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط٣، ١٣٦٤ش.

١٠- تهذيب اللُّغة: الأزهريّ، محمّد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، نشر: دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

(ج)

١١- جمهرة الأمثال: العسكريّ، أبو هلال (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم/ عبد المجيد قطامش، نشر: دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٣٨٤هـ.

١٢- جمهرة اللُّغة: ابن دريد، محمّد بن حسن (ت٣٢١هـ)، تحقيق: بعلبكيّ، رمزي منير، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.

(ح)

١٣- الحماسة البصريّة: صدر الدِّين، عليّ بن الحسن البصريّ (ت٦٥٩هـ)، تحقيق ومراجعة: مختار الدِّين أحمد، نشر: عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٤- حياة الحيوان الكبرى: الدَّميريّ، كمال الدِّين (ت٨٠٨هـ)، نشر: دار الكتب العلميّة، لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ.

(خ)

١٥- خزانة الأدب لبّ لباب لسان العرب: البغداديّ، عبد القادر بن عمر (ت١٠٣٠هـ)،

تحقيق وشرح: عبد السَّلام محمّد هارون، نشر: مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٣، ١٩٨٩م.

(د)

١٦- ديوان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ترجمة: مصطفى الزمانيّ، نشر: منشورات پيام اسلام، قم المقدّسة، ١٣٦٨ ش.

(ذ)

١٧- الذَّريعة إلى تصانيف الشِّيعة: الطهرانيّ، الشيخ آقا بزرگ (ت١٣٨٩هـ)، نشر: دار الأضواء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

١٨- ذكرى الشِّيعة: الشَّهيد الأوّل، محمّد بن جمال الدِّين المكّيّ العامليّ (ت ٧٨٦هـ)، نشر وتحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ط١، ١٤١٩هـ.

(ز)

١٩- زهر الأكم في الأمثال والحِكَم: اليوسيّ، الحسن بن مسعود بن محمّد (ت ١١٠٢هـ)، تحقيق: محمّد حجّي/ محمّد الأخضر، نشر: الشركة الجديدة/ دار الثقافة، الدار البيضاء/ المغرب، ط ١، ١٤٠١هـ.

(ش)

٢٠- شرح ديوان المتنبّي: الواحديّ: عليّ بن أحمد النيسابوريّ (٤٦٨هـ)، برنامج الجامع الكبير الإصدار (٤).

٢١- شمس العلوم ودواء كلام العرب مِنَ الكُلوم: الحميريّ، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: حسين بن عبد الله-مطهّر بن عليّ/ يوسف محمّد عبد الله، نشر: دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ.

(ص)

٢٢- الصِّحاح: الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد (ت٣٩٣هـ)، أحمد عبد الغفور عطّار، نشر: دار الملايين، بيروت، ط١، ١٣٧٦هـ.

(ط)

٢٣- طبقات الأولياء: عمر بن عليّ بن أحمد، الشافعيّ، المصريّ (ت٨٠٤هـ)، تحقيق: نور الدِّين شريبه، نشر: مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ.

(غ)

٢٤- الغارات: الكوفيّ، إبراهيم بن محمّد، الثقفيّ (ت٣٨٣هـ)، تحقيق: السَّيّد جلال الدِّين المحدِّث، نشر: مطبعة بهمن، ١٣٩٥هـ.

(ف)

٢٥- فوات الوفيات: الكتبيّ، محمّد شاكر (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: عليّ محمّد بن يعوض الله/ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٠م.

(ق)

٢٦- القاموس المحيط: الفيروز آباديّ، محمّد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، نشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٧- القوانين المحكمة: القمّيّ، أبو القاسم الجيلانيّ (ت١٢٣١هـ)، تحقيق: رضا حسين صبح، نشر: دار زين العابدين، قم المقدّسة، ط٤، ١٤٣٩هـ.

(ك)

٢٨- الكافي: الكلينيّ، محمّد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، نشر: دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

(ل)

٢٩- لسان العرب: ابن منظور المصريّ، محمّد بن مكرَّم (٧١١هـ)، نشر: دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣٠- اللُّطف واللَّطائف: الثعالبيّ، عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل أبو منصور (ت٤٢٩هـ)، برنامج المكتبة الشَّاملة الإصدار (٣٤/ ٨).

(م)

٣١- مجمع الأمثال: الميدانيّ، أحمد بن محمّد النيسابوريّ (ت ٥١٨هـ)، نشر: الآستانة الرضويّة المقدّسة، ١٣٦٦ ش.

٣٢- مجمع البحرين: الطريحيّ، الشَّيخ فخر الدين بن محمّد عليّ (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السَّيِّد أحمد الإشكوريّ، نشر: المرتضويّ، طهران، ط٣، ١٣٦٢ ش.

٣٣- المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، عليّ بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، نشر: دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٤- المحيط في اللُّغة: الصّاحب بن عَبّاد، إسماعيل بن عَبّاد (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: محمّد حسن آل ياسين، نشر: عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣٥- المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير: الفيوميّ، أحمد بن محمّد (ت ٧٧٠هـ)، نشر: مؤسّسة دار الهجرة، قم المقدّسة، ط٢، ١٤١٤هـ.

٣٦- المصون في الأدب: أبو أحمد، الحسن بن عبد الله، العسكريّ (ت ٣٨٢هـ)، برنامج الجامع الكبير الإصدار (٤).

٣٧- معجم المؤلِّفين: كحّالة، عمر رضا، نشر: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٣٧٦هـ.

٣٨- المُغْرِب في ترتيب المُعْرِب: المطرّزيّ، ناصر بن عبد السَّيّد (ت٦١٠هـ)، نشر: مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٩٧٩م.

٣٩- منتظم الدرَّين في أعيان الأحساء والقطيف والبحرين: البحرانيّ، محمّد عليّ بن أحمد (ت١٣٨٧هـ)، تحقيق: ضياء بدر آل سنبل، نشر: مؤسّسة طَيبة لإحياء التُّراث، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.